إلى البـاب، وما أن وصـل إلى منتصفه حتى سمـع صـوت طلقين متتاليين، فألقىٰ بنفسه على الأرض، وانطلقت صرخة تلتها صرخات وساد الهرج . . برزت امرأة من بين الأشجار التي تغطّي الممر ممسكة بمقص صغير، وأسرعت إلى جعفر ومدّت يـدها، وبسـرعة البـرق انتزعت أوّل العلامتين، وقبل أن تشرع في قصّ الثانية أطبقت عليها الأيدي، وسمع جعفر صوت الخفي يقول:

ـ انهض يا جعفر . . انتهت المهمّة . .

هبّ من مكانه ينظر حوله بعينين تتقدان من شدّة الغضب، ونظر إلى المرأة وكانت عجوزاً تعمل في تنظيف حجرات النوم . . ولكن المفاجأة الكبرىٰ كانت تتقدّم ناحيته من خارج الفندق . .

كان فيصل وبومدين ومن حولهما بقية المغامرين يدفعون أمامهم كارل وروجر ومارجي وتوني، وقد زينت معاصمهم قيود جديدة . .

تعانق الرفاق بعد فراق دام أيّاماً شابت من هولها الرؤوس، ونظر جعفر طويلاً إلى وجه كارل، وبكل ما فيه من قوّة كال له لكمة ألقته أرضاً . .

سمع صوت الخفي من بين الوقوف يقول:

ـ اترك الباقي لحبل الجلّاد . . هيا واستعدوا لحضور العرس . .

تلفتوا يبحثون عنه ولم يفلحوا إلاّ في سماع ضحكته التي يعرفونها جيداً . .

سلسلة المغامرين الـ ١٣

وهـذه مجمـوعـة أخـرى من قصص الفتيـان ، تفخـر « دار النفـائس » بوضعها في متناول أيديهم .

إنها قصص « بوليسية » مثيرة . يلعب فيها الخيال دوراً بارزاً . وينتصر فيها العـدل على الـظلم ، والقانـون عـلى المجرمين .

في قصتنـا هذه نعـتَزُّ بالمحـافـظة عـلى العـرض الأدبي الممتـع ، والاهتمـام بالخلق الرفيع ، والشهامة العربيـة ، والشجاعة الأصيلة ، عسى أن يستفيد منها الجيل الجديد .







(٦)

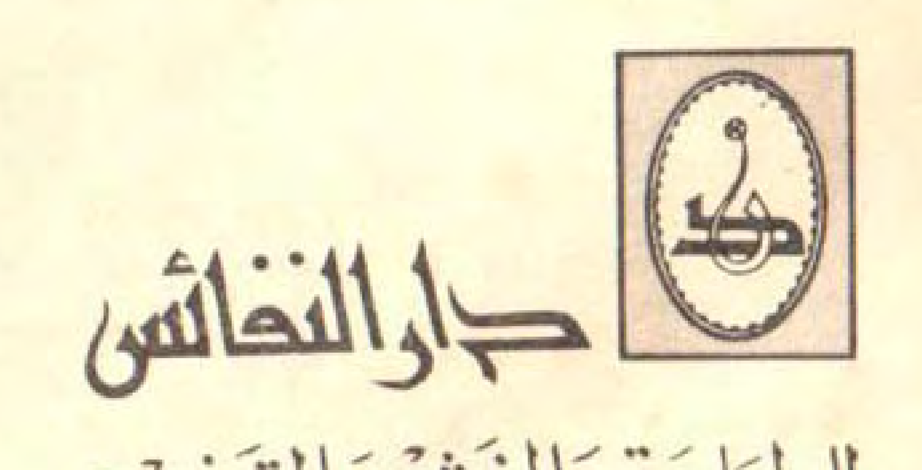
الحسناء القاتلة ..

محمد عبد الحميد الطرزي

دار النفائس



الحسناء القاتلة ..



للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

الحسناء القاتلة...

كانت المناقشة حادّة.. فقالت نهلة بإصرار:

- الأمر كما صورته لكم.. لا يمكن أن يكون غير ذلك..

أجابها جعفر بعناد:

- لماذا هذا الاستبداد بالرأي..؟؟ إن الشرطة في أكثر بلدان العالم يسعون للكشف عن سرِّ هذه السلسلة الغريبة من الجرائم..

هزّت كتفيها بقلّة اكتراث وأجابته باستخفاف:

- لتكن كل شرطة العالم مشتركة في البحث عمّا تقول.. ألسنا مثلهم؟ ألاَ نملك عقولاً كعقولهم ونفكّر كما يفكّرون؟ أنا مصرّة على رأيي، وأعتقد أنه أقرب إلى المنطق حتى يظهر ما هو أكثر إقناعاً..

قال سامح:

- واضح غاية الوضوح أنّه عمل منظّم جداً، ومرتكبوه يعملون بحيطة وحذر..

نظرت إليه فتنة وسألته:

ـ على أي أساس بنيت نظريتك هذه. . ؟؟ ألكونهم لم يقعوا في يد العدالة بعد. . ؟؟

أجابها بهدوء:

ـ واضح ذلك من اختيارهم لضحاياهم. . لو استرجعنا الحوادث لتأكّدت من صحة نظريتي. . إنها عصابة منظّمة بدقّة، ويرأسها زعيم يمتاز بذكاءٍ خارق، وتفكير إجرامي منظّم. . إنه قبل أن يقدم على عمليته يجري ألف حساب لكل كبيرة وصغيرة، وينفّذ ضرباته المحكمة الواحدة بعد الأخرى بنجاح لفت إليه أنظار العالم بأسره. .

قال جعفر بملل:

ـ دعونا من هذا النقاش الذي لن يوصلنا إلى شيء. . أعتقد أن هذه العصابة أمنع من عقاب الجو، حتى يخيّل إليَّ أنها أسطورة خيالية. .

أجابه فيصل:

ـ لا يا جعفر، أنا لا أشاركك هذا الرأي. . إن هذه العصابة كائناً ما كانت مكوّنة من بشرٍ، ويرأسها إنسان مثلنا. . . والإنسان مهما بالغ في إظهار براعته وقوّته، فهو في نهاية الأمر ضعيف أمام سطوة القانون. .

قال بومدين بهدوء:

ـ لست أدري هل فكّر أحدكم مثل تفكيري. . ؟؟ ألاَ يحتمل أن الأمر كلّه وليد مصادفة غريبة. . ؟؟

تدخّلت سميرة في الحديث قائلة:

ـ أي مصادفة غريبة؟

لا مصادفة إطلاقاً في مثل هذه الجرائم. . لقد دبّرها عقل إجرامي يعرف متى وأين ينزل ضربته الصائبة. .

أشارت وسيلة تطالبهم بالصمت، فأدركوا من فورهم أن الخفيّ سيتحدّث إليهم. . لقد كانت تشير إلى جهاز الإرسال الدقيق المتدلّي من عنقها. . .

قال الخفي دون مقدّمات:

ـ فليستعدّ سامح وجعفر ومازن ونهلة ووسيلة لرحلة قد تستغرق شهراً كاملاً. . سيكون رحيلكم هذا اليوم بعد الظهر في الطائرة التي ستغادر المطار في الثالثة. .

سكت الخفي، فاعتقدوا أنه سيتابع حديثه ببعض التفصيلات كعادته، ولكنه لم يفعل واكتفى بهذا الأمر المقتضب. . . ظلوا محدقين في الجهاز ينتظرون سماع المزيد وكأنّ على رؤوسهم الطير، فلما تنبّهوا إلى كونه أنهى الحديث، قالت فتنة متسائلة، وقد بدا عليها الانزعاج:

ـ ونحن. . ؟؟ ألا دور لنا. . ؟؟

كانت مفاجأة سماع صوت الخفي الذي قال:

ـ لا تتعجّلي الأمور فإنني لا زلت أتحدّث ولم أنتهِ من كلامي بعد. .

آحمرّ وجه فتنة من الخجل، وتابع الخفي قائلاً:

ـ ستصلكم تعليماتي بعد إقلاع الطائرة. . أما بالنسبة لفتنة وسؤالها، فحتى اللحظة لا دور لأحد غير مَنْ ذكرت في هذه العملية. . أقول حتى اللحظة. . انتهى. .

ظهر الضِّيق على وجوههم، ونظرت سميرة إلى ساعة معصمها وقالت بأسىٰ:

ـ لا وقت للنقاش. . فلتتأهّبوا وتعدّوا أنفسكم للرحيل فالوقت ضيِّق. .

كان سامح واجماً شارد الذهن وهو يجيبها:

ـ إنها رسالة مقتضبة جدّاً، حتى أنّه غفل عن أهمّ ما عوّدنا سماعه قبل كل رحلة. . . أي أسلحة سنأخذ معنا. . ؟؟

أجابه جعفر:

ـ طالما أنّه لم يأتِ لها بذكرٍ فلا شكّ أنّه سيدبّر أمرها بطريقة ما. .

قالت فتنة:

ـ هذا معقول فإنه لا ينسىٰ أو يغفل أمراً كهذا. .

أجابها مازن بشكّ:

ـ حتى لو أمرنا بحمل أخفّ الأسلحة. . . أتعتقدون أنّه أمرٌ هيّن. . ؟؟ إن رحيلنا سيكون على طائرة ركّاب عاديّة. . وسيكون التفتيش دقيقاً حول حمل الأسلحة بعد أن تكررت حوادث اختطاف الطائرات في هذه الأيّام. .

تنهّد سامح وقال:

ـ إن مازن على حقّ وإن كان الأمر بالنسبة للخفي سهلاً وميسوراً، فله طُرُقه الخاصة كما تعلمون. .

وسكت برهة ثم تابع:

ـ إنها المرة الأولى التي لا يلمِّح مجرد تلميح عن تفصيلات المهمّة، ويكتفي بمثل هذا الأمر المقتضب. .

سادهم صمت قصير قال جعفر على أثره:

ـ خطرت ببالي فكرة. . فلنذهب جميعاً إلى المطار ونحمل معنا مسدساتنا الليزرية. . فإن اتّصل بنا قبل الوصول إلى المطار أخبرناه بأمرها، وإن لم يفعل قبل دخولنا إلى المطار أعدناها مع العائدين. .

ارتاحوا إلى هذا الحل وانتشروا في غرفهم حيث بدأ كل فرد منهم يرتّب أموره. . وبعد فترة قصيرة تجمّعوا في الصالة. . وكان المسافرون يحملون حقائبهم ولوازمهم.

نظر سامح إلى ساعته ثم قال:

ـ لقد تجاوزت الثانية. . هيّا بنا. .

استقلّوا سيارتين تولّى فيصل قيادة إحداهما، وقام بومدين بقيادة الثانية، وانطلقوا في الطريق الجبلي الموصل إلى المدينة. . وقبل نهايته بقليل، جاء صوت الخفي غاضباً وهو يقول:

ـ لم أطلب إليكم أن تخرجوا جميعاً إلى المطار وتتركوا المخبأ

خالياً، المسافرون منكم فقط يتابعون إلى المطار. أما المتخلّفون فعليكم أن تعودوا أدراجكم على الفور، فقد تصلكم أوامري في أي لحظة للقيام بمهمة أخرى.. أما ما تحملونه من أسلحة فاتركوه خلفكم.. عندما تحط بكم الطائرة في مطار هونولولو، سيكون في انتظاركم من يزوّدكم بالأسلحة وتعليماتي.. انتهى..

توقفت السيارتان وترجّل الجميع ليودعوا بعضهم بعضاً، تعانقوا وطفرت الدموع من أعين الفتيات، فقال جعفر محاولاً التخفيف من لحظات الفراق:

ـ ما هذا..؟؟ أنا لا أحب مشاهدة الدموع في لحظات الوداع.. هيّا كفكفوا هذه الدموع، ودعونا نرى الابتسامات الحلوة..

قال فيصل:

ـ إنها المرأة وضعفها الطبيعي، وإن كنت في دهشة بالنسبة لهن.. ما ظننت يوماً أن أعينهن تعرف الدموع كباقي بنات جنسهن..

قال سامح باسماً:

ـ ترى أي مهمة تنتظركم.. أعتقد أنها المهمة عينها التي كلّفنا بها..

قال جعفر مازحاً:

ـ وما شأنك أنت..؟؟ لماذا تسأل..؟؟

أجابه بهدوء وجديّة يتنافيان والهذر الذي عناه:

ـ أعتقد أن المهمّة تتعلّق بجرائم النظرات القاتلة كما أطلقت عليها الصحافة..

قال مازن بآستغراب:

ـ وماذا لو كان الأمر كذلك؟ وما صلة ذلك بمهمّتهم الغير مؤكّدة؟

أجابه بهدوء:

ـ بديهي أن العدد الذي وقع عليه الاختيار للرحيل الآن غير كافٍ لمواجهة هذه العصابة.. لذلك أعتقد بأننا سنلتقي جميعاً في هونولولو..

تأمّلوه دهشين وسألته وسيلة:

ـ من أين جاءتك هذه الفكرة..؟؟

هزّ كتفيه باستخفاف وقال:

ـ لست أدري.. مجرّد إحساس..

عندما لاحت مباني المطار من بعيد قال فيصل:

ـ ليت إحساسك هذا صحيح يا سامح ونلتقي بالفعل هناك..

أجابه مازن باسماً:

ـ حقّاً ما أمرّ الفراق ولكن ما حيلتنا..؟؟ ألم ننذر أنفسنا للعمل دون أدنى اعتراض..؟؟ علينا الطاعة والتنفيذ بلا تذمّر أو احتجاج..

رحلة ممتعة

وأخيراً هبطت بهم الطائرة إلى أرض المطار، بعد أن شاهدوا الجزيرة الحالمة من الجو، وسحر ألبابهم منظرها الرائع.. وعندما غادروا الطائرة في طريقهم إلى مبنى المطار قالت نهلة:

ـ يا لها من بلاد جميلة.. ليتنا نحضر إليها جميعاً في جولة سياحيّة تختلف عن زيارات العمل هذه.

أجابها جعفر:

ـ لن يبخل علينا الخفي بذلك إذَا ما طلبنا منه قضاء إجازتنا القادمة هنا..

عندما انتهوا من إجراءات الدخول، تجمّعوا في ساحة المطار الخارجية. هناك تقدّم نحوهم شاب في مقتبل العمر، وعلى شفتيه ابتسامة ترحيب عريضة وقال:

ـ أهلاً بكم في جزيرتنا الجميلة..

وكعادتهم استقبلوه بتحفّظ وحرص شديدين..

تابع الرجل قائلاً:

ـ إن بلادنا جميلة ساحرة، وإن كان يعكّر صفوها هذه الأيام كابوس مخيف..

وبتر حديثه، ثم تابعه بصوت خافت:

ـ هل أدركتم من أكون..؟؟

أجابه مازن بجفاء:

ـ ومن أين لنا أن نعرف..؟؟

وجم الشاب للحظات، ثم اتسعت ابتسامته وقال بصوتٍ خافت:

ـ آسف إن كنت سببت لكم بعض الإزعاج.. فقد اعتقدت أن الخفي أخبركم بأنني سأكون في انتظاركم..

ابتسموا بعد تجهّمٍ، وقال مازن:

ـ كان يجب أن تفصح لنا عن شخصيتك، حتى لا نستقبلك بكل هذا الجفاء..

أشار لهم نحو باب الخروج وهو يقول:

ـ لا بأس.. اسمي جون..

حاول مازن أن يقدّم له رفاقه، ولكنه قال على عجل:

ـ ليس الآن.. دعونا نخرج من هنا وفي السيارة يمكننا الحديث بحريّة أكثر..

جلس جون في المقعد الأمامي متوسطاً السائق وجعفر، وبصره مستقر على المرآة يراقب من خلالها الطريق خلفهم.. كانوا لا يرون وجهه عدا جعفر الذي اختلس نحوه نظرة، ولمح القلق المرتسم على وجهه عندما ظهرت في المرآة سيارة تتبعهم.

قال بصوت حادٍ:

ـ يبدو أن بعضهم يلاحقنا.. سنتأكّد من ذلك فوراً..

وطلب من السائق الانحراف عن الطريق إلى طريق جانبي وتهدئة السرعة، ففعل، واستدار جون ليرىٰ هل ستتبعهم السيارة أم ستواصل طريقها.. وقد حدث ذلك، إذْ واصلت السيارة طريقها دون أن يلتفت ركابها ناحيتهم... تنهد جون بارتياح وقال:

ـ الحذر واجب.. أليس كذلك..؟؟

وعاد السائق إلى الطريق مرّة أخرى، وواصل سيره السريع.. قال سامح بهدوء:

ـ أخبرنا الخفي أنّك ستسلّمنا أسلحة خاصة عندما نلقاك..

أجابه باقتضاب:

ـ إنها في المكان الذي ستقيمون فيه.. لا حاجة لكم بالأسلحة في الوقت الحاضر..

قال جعفر مداعباً:

ـ من يدري فقد نحتاج لوجودها لنضمن الوصول إلى حيث هي..

أجابه بحدّة:

ـ ماذا..؟؟ ماذا تعني بقولك هذا..؟؟

كان جعفر هادئاً وهو يجيبه:

ـ أعني أن من يجد في انتظاره من يتبع خطاه من أوّل وهلة، يجب أن يكون متأهّباً لكل الاحتمالات.. ألست من رأيي..؟؟

أجابه جون بغضب:

ـ ماذا تظن بنا..؟؟ إننا أيضاً من رجال الخفي، وقد علّمنا كما علّمكم كيف ندافع عن أنفسنا..

قال ذلك ودسّ يده في جيبه وأخرجها حاملة مسدساً ليزرياً كبير الحجم وضعه على فخذيه.

قالت وسيلة بلطف لتخفّف من حدّة الموقف:

ـ إنه يمزح يا سيِّد جون ولم يقصد إهانتك..

أجابها وهو على غضبه:

ـ لا يا آنسة.. لقد فسَّر انحرافنا عن الطريق تفسيراً خاطئاً.. كنت أرغب فقط في التأكّد، فلو كانت السيارة تتبعنا بالفعل لنفذت أوامر الخفي على الفور، وعدت بكم إلى المطار لترحلوا مع أوّل طائرة.. هذا ما أمر به الخفي..

كانوا يصغون إليه بدهشة، وعندما انتهىٰ من كلامه قال مازن:

ـ وهل هو أمرٌ خطير إلى هذا الحدّ أن تلاحقنا سيّارة..؟؟ كثيراً ما

تعرّضنا لذلك ونجحنا في القضاء على مطاردينا . .

أجابه بهدوء:

ـ ونحن كذلك يمكننا أن نقضي على كلّ من يفكّر في مطاردتنا . . إن ما يهمّنا هو عدم انكشاف أمركم، وإلاّ أصبح وجودكم بدون فائدة . . . يجب أن تبقوا مجهولين تماماً . .

وقبل نهاية الرحلة، توقفت السيارة أمام بوّابة حديديّة ضخمة . . . برزت أمامهم فتاة جميلة تحدثت إلى جون من خلف قضبان البوابة المغلقة . . قالت بصوت مسموع:

ـ آسفة فعمّي ليس هنا . .

شكرها جون وقال للسائق:

ـ أسرع إلى هناك . .

ومرّة أخرىٰ واصلت السيارة سيرها في طريق فرعي تظلّله الأشجار، حتى أوقفها السائق مرّة أخرىٰ أمام باب حديقة غنّاء واسعة، لاحت من داخلها بناية جميلة تكسوها النباتات المتسلّقة . .

غادروا السيّارة وهم يتأملون المكان بارتياح. ثم حملوا حقائبهم ودخلوا خلف جون، وعندما أصبحوا في الداخل قال لهم:

ـ سأترككم الآن . . لا أعرف متى سأعود إليكم بالضبط، فإنني في انتظار رسالة من الخفي، متى وصلتني أتيت بها إليكم أو بمضمونها.

وأحنىٰ لهم رأسه محيياً وغادر الفيلا إلى السيارة التي انطلق بها

مسرعاً . . وكانوا يتابعونها حتى وصلت إلى مقربة من البوابة، فشاهدوه يغادرها وتنطلق بدونه! .

قالت وسيلة:

ـ ما معنى هذا . . إنه في مكانٍ قريب منّا . .

وقبل أن يجيبها أحدهم سمعوا صوت محرّك درّاجة نارية، فنظروا من النافذة، وإذا بجون الذي يتولى قيادتها بسرعة مخيفة . . وعند البوّابة المغلقة هدّأ من سرعته ريثما فتحت له البوابة تلقائياً، ثم أغلقت بعد خروجه . .

جاسوا أنحاء المنزل الحالِم، وكانوا يزدادون إعجاباً كلما تنقّلوا من غرفة إلى أخرىٰ، فقد تجلّت لهم عظمته وحسن تنسيقه، بصورة دفعت وسيلة إلى القول:

ـ لقد شاهدت الكثير من المنازل الفخمة، ودخلت الكثير من القصور، ولكن نفسي لم تعجب بقدر إعجابها بهذا المكان الرائع . .

ضحك جعفر وقال:

ـ لا عليك . . إن كان قد أعجبك فإنني متنازل لك عنه.

جلست نهلة في شرفة تطل على الوادي الأخضر المترامي الأطراف وقالت:

ـ لن أغيِّر مكاني هذا طوال مدة إقامتنا في هذه الجنّة . .

وجلست وسيلة إلى جوارها وهي تتنفّس الهواء النقي بعمق وقالت:

ـ حقاً إنها الجنّة . .

قطع عليهما الحديث الشاعري صوت أزيز من جهاز الإرسال الصغير المتدلّي من عنق وسيلة. وعندما سمعوه أسرعوا إليها . . . وكانت مفاجأة لهم سماع صوت أجش لا يمتّ لصوت الخفي بصِلة يتحدّث إليهم :

ـ أهلاً بكم . . نرجو لكم إقامة مريحة . .

سأله سامح :

ـ شكراً لك . . ولكن مع من لنا شرف الحديث . . ؟؟

أجابه الصوت قائلاً :

ـ لا أهمية لمعرفة مَنْ أكون . . أردت باتّصالي أن أدلّكم على مكان الأسلحة . . في بهو الفيلا يوجد صندوق من الأبنوس الأسود المطعّم بالعاج الأبيض . . ترى هل لفت أنظاركم . . ؟؟

أجابه سامح :

ـ نعم . .

قال الصوت :

ـ إذا ما تحسّست جانبه الأيمن ستعثر على نتوء صغير . . . اضغط عليه فينكشف لك تجويف يحوي مسدساتكم . . إنها بدورها تعمل بالليزر وإن كانت أشدّ قوة وأبعد مدى من مسدساتكم الأصلية . . احترسوا في استعمالها فإنها فتّاكة . .

أنهى المجهول حديثه، فأسرع جعفر إلى البهو، وتحسّس جانب الصندوق الجميل، فعثر على النتوء الذي حدّثهم عنه، وضغطه، فسمعوا صوت أزيز خافت، وانفرج جدار القطعة الأبنوسية الرائعة عن فجوة شاهدوا بداخلها المسدسات الخمسة . . خمسة مسدسات ليزرية ضخمة . .

تناول كل منهم واحداً منها، وشرعوا يفحصونها بعناية . . قال سامح بإعجاب :

ـ إنها رائعة . . هل لاحظتم الفارق بينها وبين مسدساتنا . .

أجابته نهلة :

ـ لا أرىٰ كبير فرق بينهما إلّا طول بسيط في ماسورتها . .

نظر إليها مازن بإعجاب وقال :

ـ عجيب واللّه أمر القدر . . هل أنتن حقّاً فتيات . . ؟؟

أغرقوا في الضحك وعادوا إلى مكانهم من الشرفة، واتّخذوا مجلسهم فيها . . .

قالت وسيلة :

ـ رغبت نهلة منذ قليل لو تبقىٰ هنا إلى الأبد وأنا أنضم إليها في الرأي . . . إنني أحس وكأنّني محلّقة في أجواء من الأحلام الجميلة . .

قال سامح :

ـ إنه مكان ساحر بدون شكّ، ولكنه كالورود الجميلة، إذا ما فكرت في قطفها أدمتك أشواكها..

أجابه جعفر:

ـ لو لم يكن المكان آمناً تماماً، ما وقع اختيار الخفي عليه مقرّاً لنا..

وكأنّه يسمعهم، إذْ سمعوه فجأة يقول:

ـ هل أعجبكم المكان..؟؟ ستجدون في درج الخزانة التي يعلوها الإناء الصيني. خريطة مفصّلة لكل شيء يهمّكم، وإيضاحاً للدائرة الكهربائية التي تتحكّم في المكان برمّته..

سأله سامح دون مقدّمات:

ـ ولكننا نجهل حتى الآن ما هي المهمّة..؟؟

أجابه الخفي:

ـ لم أنتهِ من حديثي بعد يا سامح.. إن مهمتكم هي القبض على عصابة القتل التي أسمتها الصحافة «النظرات القاتلة»..

سأله مازن:

ـ ولكننا نجهل كل شيء عن هذه العصابة، إلاّ ما نشرته الصحف، وهي معلومات غلب فيها خيال الصحفي على الحقائق التي قد تفيد أي باحث..

أجابه الخفي:

ـ سأحاول أن أوجز لكم كل ما تجمّع لدينا من معلومات.. إن العصابة تتخيّر ضحاياها من طبقة الأغنياء، فجميعهم حتى الآن من أصحاب الملايين... كان أول الضحايا الملياردير المعروف دافيد كيرفايد.. اتضح من التحقيق بعد وفاته أن مجهولين صرفوا من حسابه أربعة شيكات، قيمتها أربعة ملايين دولار يوم وفاته.. وبعده قُتِل المليونير الفرنسي برنار روجيه، وبدوره انخفض رصيده يوم وفاته ثلاثة ملايين دولار..

سألته نهلة:

ـ وهل تمّت كل هذه الجرائم هنا في هونولولو..؟؟

أجابها الخفي:

ـ حتى الآن ارتكبت العصابة ست جرائم، كانت حصيلتهم منها مبلغاً خيالياً، بلغ ستة وثلاثين مليون دولاراً.. وجميع الجرائم تمّت هنا في الجزيرة.. لهذا أتيت بكم إلى هنا.. إن الضحايا كلّهم كانوا من زوّار الجزيرة الموسميين الدائمي التردّد عليها، لذلك أسرعت بالتدخّل قبل سقوط ضحيّة جديدة، أعتقد أنني أعرف مَنْ هو صاحبها..

سأله سامح بلهفة:

ـ تعرف اسم الضحية الجديدة..؟؟

أجابه الخفي:

ـ قلت أعتقد ولم أجزم.. أما اسم الذي أظنه سيكون ضحيتهم

القادمة فهو المليونير الأمريكي هنري كروفورد . .

سأله مازن :

ـ ولماذا هو بالذات . . ؟؟ هل تلقّى تهديداً من العصابة . . ؟؟

أجابه الخفي :

ـ ثبت من التحقيقــات جميعهــا أن الضحــايــا لم يتلقّــوا أي تهديدات . . إن العصابة تضرب ضربتها وتترك رجال الشرطة غارقين في بحرٍ من الغموض . . ومع ذلك فإنني بنيت توقعاتي بأنه الضحية القادمة لعدة أسباب ، أظنّها منطقيّة إلى حدٍّ ما . .

وسكت برهة ثم تابع :

ـ منـذ عدّة سنـوات اشترىٰ المليـونير هنـري جزيـرة صغيرة من حكومته ، وشيّد فيها قصراً رائعاً ، ولكنه لم يطرد منها سكانها بعد أن آلت إليه ملكيتها ، كما يفعل سواه ممن سبقوه إلى امتلاك جزر من هذا النوع . . أبقىٰ على السكّان ، وتركهم يعيشون حياتهم المعتادة ، وزاد من إغداقه عليهم أنه ساعدهم على إعادة بناء منازلهم ، وزوّدهم بالحديث من معدات الزراعة ، مما ألهج ألسنتهم بالشكر له . . ومنذ أيّام تم زواج المليونير ، وقرر أن يمضي شهراً مع عروسه في قصره بالجزيرة ، ولعلمكم أنّه وحتى اللحظة لم تطأ قدمه أرضها أبداً . .

قال سامح بإعجاب :

ـ إنه توقع معقول جداً . . إن الصيد هذه المرة مزدوج . . المليونير وزوجته ، فهي لا شك من صاحبات الملايين . .

أجابه الخفي :

ـ بالفعل إنها ابنة مليونير من جنوب أفريقيا ، وصاحب منجم كبير من مناجم الماس . .

قال مازن متسائلاً :

ـ لكن وطالما أنه سيقيم في جزيرته ، فكيف نتمكّن من مراقبته ؟ . .

أجابه الخفي :

ـ عليكم وقبل كل شيء أن تتعرّفوا عليه هو وزوجته ، وستُتاح لكم هذه الفرصة أثناء الحفل الساهر الذي سيقيمه حاكم الجزيرة احتفاءً به . . لقد حجزت لكم مائدة قريبة من المكان المخصّص للعروسين ، وهنا على وسيلة ونهلة يقع العبء الأكبر في نجاح هذه الخطوة . .

سألته نهلة :

ـ كيف . . ؟؟ ولماذا أنا ووسيلة بالذات . .

سمعوه يضحك ضحكة قصيرة ثم قال :

ـ دائماً متسرّعة تسبقين الحوادث . . المهمة لا يصلح لها الرجال ، فمهمّتكما التقرّب من الزوجة الحسناء ، وكسب ثقتها وإعجابها ، فإذا ما عرفتِ أنها من عشّاق الغناء الشرقي ، أدركتِ كيف يمكنك أنت بالذات لفت نظرها وإعجابها بك . .

قال جعفر بدهشة :

ـ أعرف أن الأجانب في جميع أنحاء العالم قد يعجبون بالغنـاء

الشرقي، ولكنها المرّة الأولىٰ التي أعرف فيها أن مليونيرة تعشق الغناء الشرقي . .

أجابه الخفي بهدوء:

ـ إنه أمرٌ طبيعي جداً إذا عرفت أنها أمضت سبعة عشر عاماً في مصر قبل أن تلحق بوالدها . . إنها تتحدّث العربية خيراً منكم . .

أجابته وسيلة:

ـ إن هذا لا شك سيساعدنا كثيراً، فمعرفتها للعربية سيتيح لنا فرصة كبيرة للتفاهم معها . . ولكن كيف تُتاح الفرصة لنهلة لتغنّي . . ؟؟ ألَا تراه أمراً شاذاً أن تفعل في حفل كهذا . . ؟؟

أجابها الخفي:

ـ سيتم ذلك بهدوء ودون افتعال . . لقد رتّبت الأمور بدقّة حتى يبدو الأمر طبيعياً للغاية . .

قال مازن فجأة مغيِّراً الحديث:

ـ هل في الإمكان تزويدنا بكل الصُحف المحلية التي كتبت عن الحوادث السابقة . . ؟؟ قد يفيدنا ذلك في التعرّف على دقائق التحقيق التي نجهلها . .

أجابه الخفي بصوت ينطق بالإعجاب:

ـ لم أهمل ذلك يا مازن . . . سيصلكم مجلّد ضخم يحتوي على كُلّ الصحف التي كتبت في هذا الشأن . . ومن المهم جداً قراءة

تفصيلات الجريمة الأخيرة بوجهٍ خاص . .

فتح جعفر فمه ليتكلّم، ولكن الخفي كان مستمراً في حديثه فلزم الصمت حتى يفرغ من كلامه . . تابع الخفي:

ـ أعني من ذلك تقريراً مفصّلاً، أرفقه كبير مفتشي الشرطة بكتاب استقالته التي لم تُقبل . . إنه تقرير دقيق مفصّل فيه كل كبيرة وصغيرة، واستنتاجاته الخاصة، وتصوّراته عن كل قضية على حدة . .

قال سامح:

ـ وهل تحدّد موعد الحفل . . ؟؟

أجابه الخفي:

ـ حتى الآن لم يتحدد بعد، وسأبلغكم به فور تحديده . ولكن هذا لا يمنع من قيامكم بزيارة المكان الذي سيُقام فيه الحفل لتدرسوا مداخله ومخارجه . . تأملوا الوجوه وادرسوها بإمعانٍ فمن يدري . . ؟؟ قد يفيدكم ذلك متى جدّ الجدّ . . سأترككم الآن وسأتّصل بكم فيما بعد . .

وأنهىٰ الخفي حديثه، فقالت نهلة وهي تبتسم:

ـ ليت الجميع معنا في تنفيذ هذه المهمة الناعمة . . ؟؟

نظروا إليها دهشين . . . وسألتها وسيلة باستغراب:

ـ مهمّة ناعمة . . ؟؟ حقاً إنه أعجب وصفٍ يمكن أن تسمّىٰ به مهمة كهذه . .

أجابتها بأبتسامة مشرقة:

ـ ألَا يكفي أنكم ستستمعون إلى صوتي بدلاً من صوت رصاص البنادق والمسدسات.. أليس في صوتي ما يستحق وصفة بالنعومة..؟؟

ابتسموا لدعابتها التي أشاعت جواً من المرح والسرور.. قال سامح بحيرة:

ـ ما يحيرني هو.. لماذا وقع اختياره علينا بالذات، مع أن لفيصل ميزات خاصة قد تفيد كثيراً في مثل هذه المواقف..

أجابته نهلة دون تردّد:

ـ لو لم يكن هناك ما ينتظرهم ما تردّد لحظة في إرسالهم معنا... لا ريب أن مهمّة هامة في انتظارهم.. ولكن ما هي.. هذا عِلمه عند اللّه..

أجابها مازن:

ـ من يدري..؟ إننا نعلم من تجاربنا الكثيرة السابقة أن الخفي يعمل دائماً بالنصيحة التي تقول.. لا تضع البيض كلّه في سلّة واحدة..

تأملوه بإمعان... ثم قال جعفر:

ـ أتعني أنهم قد يلحقون بنا..؟؟ إذن فقد يتحقق إحساس سامح الذي قاله قبل مغادرتنا المخبأ..

قالت وسيلة وهي تتنهّد:

ـ على أي حال لو صدق هذا الإحساس فلن يختفوا أو يحتجبوا عن أنظارنا طويلاً..

نظر مازن فجأة ناحية البحر، وأخذ يستنشق الهواء ملء رئتيه، ثم أشار إلى يختٍ جميل يدخل الميناء متهادياً كعروس جميلة وقال:

ـ أود لو أعرف كيف يعيش هؤلاء الناس..؟؟

سأله سامح بدهشة:

ـ من تعني بهؤلاء الناس..؟؟

أجابه كالحالِم:

ـ أعني هؤلاء الذين يملكون من المال ما يسمح لهم بشراء الجزر، واقتناء القصور واليخوت الجميلة..؟؟ أليس غريباً أن يملك البعض كل شيء، ويحرم البعض الآخر حتى من رغيف الخبز.. إنها دنيا مليئة بالمتناقضات..

ضحك جعفر وأجابه:

ـ يا أخي.. هكذا هي الدُّنيا.. هل تريد أن تنظِّم الكون..؟؟ طالما أنني كدحت وعملت ووصلت إلى هذا الحد من الثراء، فهل يحق لأحد محاسبتي على الطريقة التي أصرف بها أموالي..؟؟

قال سامح محاولاً الابتعاد عن هذا الحديث الذي يحلو لمازن الخوض فيه كلما واتته الفرصة:

ـ على أي حال . . لو أنني أملك من المال ما لدى صاحب هذه الجزيرة، لاخترت مكاناً آخر أشيد فيه قصري . .

ضحكت وسيلة متهكمة وقالت:

ـ وهل في الأرض على سعتها أجمل من هذا المكان . . ؟؟

ضحك سامح وقال مداعباً:

ـ نعم . . ما رأيك في قمة من قمم الجبال العالية في كوكب الزهرة . .

غمز له جعفر بعينه وقال:

ـ ترى هل ستقيم في قصر كهذا بمفردك، أم يغلبك الحنين إلينا فتضمنا إليك . . ؟؟ .

ضحكوا جميعاً ، واستمروا في تبادل المزاح وقتاً طويلاً، حتى كادوا أن ينسوا المهمة العسيرة التي تنتظرهم . . وفجأة تعالى رنين جرس، فأسرع مازن إلى لوحة مليئة بالمصابيح الدقيقة، وشاهد واحداً منها مضيئاً، فضغط على زر أسفله وعاد إلى مكانه قائلاً:

ـ إنه جرس الباب الخارجي . .

أسرع مازن إلى الباب وفتحه، فاستقبله وجهٌ باسمٌ لفتاة من بنات الجزيرة، على قدرٍ كبير من الجمال، وخلفها شاب انحنى عندما رأى مازن ثم قال:

ـ اسمي فرانسوا، وهذه مارتا خادمتكم التي ستتولى العناية بكم طوال مدة إقامتكم . . أما عملي أنا فستعرفونه حالاً . .

ودون استئذان تقدّم فرانسوا بهدوء وجلس إلى أوّل مقعد صادفه وقال:

ـ هل يستغني الإنسان في أيّامنا هذه عن التأمين . . ؟؟

كان آخر ما يتوقعون سماعه منه هو الحديث عن التأمين، فقال جعفر ببساطة:

ـ التأمين في حدّ ذاته رائع ومفيد . . ولكن لماذا تحدّثنا عن التأمين . . ؟؟ هل تعمل في حقل التأمين . .

أجابه فرانسوا:

ـ جميل . . لقد وفّرت عليَّ الكثير بسؤالك هذا . .

ابتسمت الفتاة وغادرت المكان، وما كادت تفعل حتى ولّت الابتسامة عن وجه فرانسوا الضاحك وقال:

ـ لدي ما كُلِّفتُ بتسليمه لكم . .

وأشار إلى حقيبة وضعها جانباً عند دخوله:

ـ ستجدون بداخلها كل ما تحتاجونه . . أرجوكم إفراغ الحقيبة لأحملها أثناء خروجي . .

حمل سامح الحقيبة وأسرع بها إلى إحدى غرف النوم وأفرغ ما بداخلها، وكان مجلّداً ضخماً من أوراق الصحف، ومظروفاً كبيراً أصفر اللون . . وغادر الغرفة حاملاً الحقيبة الفارغة، وعاد بها إلى فرانسوا . .

حملها فرانسوا ووقف متأهّباً للخروج وعندها ظهرت مارتـا من جديد. . . فقال بصوت مسموع:

ـ أرجو أن تفكِّروا في الأمر، وسأكرّر المحاولة، علّني أنجح في المرة القادمة. .

رافقه مازن مودعاً، وبعد خروجه أغلقت مارتا الباب ونظرت إلى مازن باسمة ثم قالت:

ـ إن مندوبي التأمين في جزيرتنا لا يعرفون الفشل. .

أجابها باسماً:

ـ ولكنه خرج من عندنا بفشلٍ كبير. .

ضحكت عن أسنانٍ ناصعة البياض وقالت:

ـ أتظنون أنكم تخلصتم منه. .؟؟ إنها الزيارة الأولى، وستتلوها زيارات وزيارات حتى تستجيبوا له، أو ترحلون عن الجزيرة. .

كانا قد وصلا إلى حيث جلس الباقون، فسمعوا آخر كلمات الفتاة، فقالت وسيلة باسمة:

ـ لن نرحل عن الجزيرة، وفي ذات الوقت لن نؤمِّن على حياتنا، فقد فعلنا في بلادنا بما فيه الكفاية. .

لاحت على وجه مارتا، الذي يشبه وجوه الأطفال، ابتسامة حالمة وقالت:

ـ سمعت كثيراً عن جمال بلادكم. . كم أتمنى لو أُتيحت لي فرصة

زيارة كل البلدان العربية. .

أجابها مازن بمرح:

ـ إنه لمن دواعي سرورنا أنك معجبة ببلادنا، ونرجو أن تُتاح لك هذه الفرصة لتتعرّفي عليها كلها. .

قال جعفر:

ـ على أن تخطرينا بعزمك مسبقاً. . ستجدين في كل قطر واحداً منّا، فنحن من أقطار مختلفة. . . كل منّا من قطر. .

أجابته بابتسامة مشرقة:

ـ فهمت. . . لقد جمعتكم الرحلة. .

تبادل سامح وجعفر نظرة سريعة متفاهمة، وأجابها جعفر:

ـ هذا صحيح، وإن كنا انتظرنا طويلاً حتى نحقّق هذه الرحلة الباهظة التكاليف. .

قالت وهي تتهيأ للانصراف:

ـ إنني محظوظة لقيامي على خدمتكم، كم أتمنى أن يطول بقاؤكم في جزيرتنا. .

وغادرت المكان إلى داخل الفيلا بعد أن انحنت محيية بتحية مُبالغ فيها. . قالت نهلة بإعجاب:

ـ يا لها من فتاة جميلة مهذّبة. . لقد أحببتها من أوّل لحظة وقع فيها بصري عليها. .

رماها مازن بنظرة طويلة وقال:

ـ هل أحببتها بهذه السرعة حقاً..؟؟ أنت.. أنت... لن تتغيري أبداً.. ألم نحذّرك مراراً من هذا الاندفاع العاطفي..؟؟

تنبهت إلى أنّه يعني شيئاً ما من حديثه، فقالت بكآبة:

ـ ماذا تعني..؟؟

أجابها سامح بدلاً منه:

ـ إنه على حقّ يا نهلة.. ألم تنتبهي إلى طريقتها في الحديث، وكيف تستدرج من تحدّثه لتصل إلى ما تريد معرفته..؟؟

كانت دهشة نهلة كبيرة، فقالت مستنكرة:

ـ ماذا تريد أن تقول يا سامح..؟؟

وبترت سؤالها ثم قالت:

ـ أي تفكير هذا الذي يدور في رؤوسكم..؟؟ هل أصبح الشكّ في كل من يحتكّ بنا ضمن مقومات حياتكم..؟؟

هزّ جعفر رأسه نفياً وقال:

ـ لا يا نهلة، ولكنها بالفعل تحاول أن تعرف عنّا أكبر قدرٍ من المعلومات..

أجابته متحدية:

ـ كيف بالله يساوركم الشك فيها وقد وقع اختيار الخفي عليها لتقوم على خدمتنا..؟؟

كان دفاعها موضوعياً، ومع ذلك أجابها جعفر:

ـ كلّنا بشر يا نهلة، والخفي بشر معرّض بدوره للخطأ، فالمعصوم هو الله وحده..

أجابته بعنادها المعروف:

ـ سبحانه وتعالى، ولكني مصرّة على أن الخفي لا يتردّى في خطأ كهذا، تمكنّا نحن من اكتشافه وفي لحظات قليلة.. ومع ذلك.. ستكون تحت رقابتي الصارمة لأثبت لكم خطأ تفكيركم هذا..

قال سامح بهدوء:

ـ هذا عظيم... راقبيها بهدوء.. والآن دعونا من هذا.. فلنذهب إلى حيث وضعت الأوراق لنلقي عليها نظرة..

داخل القصر الفاخر

قال سامح، بعد أن طوىٰ آخر ورقة من محتويات الحقيبة:

ـ والآن ما رأيكم. .؟؟ أَلَمْ يلفت نظركم شيء في هذا التقرير. .

أجابته نهلة على الفور:

ـ نعم. . ولكنني لن أتكلّم به إلاّ بعد أن أسمع ما ستقولون. .

ابتسم مازن وقال:

ـ لاحظت أن الجرائم كلها وقعت في هذا الفندق الفخم الذي خُصِّص لأصحاب الملايين. . أليس أمراً غريباً أن تُرتكب هذه السلسلة من الجرائم، في مكان معيّن من الفندق، دون أن يحاول أصحابه الاحتياط لعدم تكرار الأمر. .؟؟

وسكت برهة ثم تابع:

ـ إن أخشىٰ ما يخشاه أصحاب فندقٍ كهذا، أن تلطّخ سمعته جريمة واحدة، لا ستّ جرائم كما حدث. . كيف لم يتدبّروا الأمر بعد وقوع الجريمة الأولىٰ. .؟؟ لماذا لم يكثّفوا الحراسة على

الفندق. .؟؟

أجابته نهلة:

ـ لقد أطلعنا على تقرير مدير الشرطة، وهو رجل مستقيم مشهود له بالكفاءة والشرف، فهل تعتقد أنه تهاون في أمر الحراسة. .؟؟

هزّ مازن كتفيه باستخفاف:

ـ إنها ليست المرّة الأولىٰ من نوعها. . فكم من رجل عاش حياته كلّها شريفاً منزهاً ثم انزلق فجأة وتردّىٰ في الجريمة وغرق فيها حتى أذنيه. . وهنا يبرز دور المال الكثير الذي حصلت عليه العصابة. . فمن يحصل على الكثير لا يضيره أن يدفع الكثير. .

قال سامح:

ـ إنه احتمال قائم لا شكّ فيه، ولكن بقي سؤال هام. . لماذا رضخ كل هؤلاء قبل مقتلهم للعصابة، وحرّروا تلك الشيكات بهذه المبالغ الخياليّة. .؟؟

أجابه جعفر:

ـ لا شك أنّهم حرّروها تحت تهديد معيّن. .؟؟

قال سامح:

ـ هذا ما أعنيه بالضبط. . لو أنّهم تعرّضوا للاختطاف مثلاً لكان أمراً طبيعياً أن ينقذوا أنفسهم بكل ما يملكون، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، فلماذا رضخوا لطلبات العصابة. .؟؟

قالت وسيلة بهدوء:

ـ أليس غريباً أن تغفلوا أهم ما جاء في التقرير ونشرته الصحف في آنٍ واحد..؟؟

أجابها جعفر:

ـ إننا لا زلنا في البداية.. ستُتاح الفرصة لكل من يرغب في الحديث..

قالت بثقة وهدوء غريبين:

ـ ومع ذلك سأشرح رأيي.. إن ما أعنيه يستحق الاهتمام أكثر من اهتمامنا بأي شيء في هذا التقرير..

لزموا الصمت والتفتوا إليها، فقالت متابعة:

ـ ما أعنيه أمرين.. أولهما.. مكان الإصابات القاتلة في جميع الجرائم.. رصاصات تخترق الظهر إلى القلب، مع ظاهرة في منتهى الغرابة تكرّرت في جميع الحوادث..

قاطعها سامح قائلاً:

ـ تعنين انتزاع المكان الذي اخترقته الرصاصة.. أليس كذلك..؟؟

أومأت برأسها إيجاباً وقالت:

ـ تماماً... هذا ما أعنيه.. مع إضافة معلومة بسيطة.. إن

المقص المستعمل في جميع الحوادث، والذي وصفته الصحف بكونه مميزاً بما يتركه من أثر دائري، ليس لغزاً مغلقاً.. إنه من تلك المقصّات الصغيرة المعقوفة والتي تُستعمل في قصّ الجلد حول الأظافر..

قال مازن:

ـ رائع جدّاً... إنه تحليل سليم مائة بالمائة..

استمرّت وسيلة في سرد تحليلها:

ـ بقيت الملحوظة الأهم. جاء في تقارير الطبيب الشرعي شيء متطابق في جميع الحوادث.. دائماً تخترق القلب رصاصتان، الفاصل بينهما ثابت في كلّ مرّة.. دائماً رصاصتان، علماً بأن رصاصة واحدة تكفي لإحداث الوفاة..

سألها جعفر باهتمام:

ـ وبماذا تفسّرين هذا..؟؟ أعني ماذا يدور في ذهنك..؟؟

عندها فجّرت قنبلة كان لها وقع الصاعقة عليهم إذْ قالت:

ـ أريد الوصول إلى حقيقة ثبتت بصورة قاطعة.. ما هي الكيفية التي يستعملها الجناة، ليحدّدوا لمطلقي الرصاصتين المكان من ظهر الضحية..؟؟

قال سامح:

ـ كأن يضعوا علامة على ظهور الضحايا مثلاً..؟؟ إنه أمرٌ مستبعد

جداً . .

ضحك جعفر وقال مازحاً وبلهجة تمثيلية :

ـ ولِمَ لا . . كل شيء جائز . . يتقدّم مندوب العصابة من الضحيّة، وينحني أمامه باحترامٍ شديد، ويقول له بأدب ورقّة . . هل تسمح لي يا سيدي بوضع العلامة على ظهرك، فبدونها لن يتمكّنوا من قتلك . .

استغرقوا جميعاً في الضحك، وكانت وسيلة أكثرهم مرحاً، ولكن سامحاً قال :

ـ لا تسخروا من الفكرة فإنها محتملة الحدوث جدّاً . . وبدلاً من جعلها مادة للضحك والسخرية، علينا أن نفكّر كيف يمكن تطبيقها . . ؟؟

انتقلت بهم نهلة إلى أمرٍ أكثر أهميّة، إذْ قالت :

ـ انتظروا . . أعتقد أن هناك ما يؤيِّد نظرية وسيلة . .

التفتوا إليها متسائلين، فقالت :

ـ إنّه المكان الذي وقعت فيه الجرائم . . إنه لم يتغيّر أبداً . . دائماً في أحد الممرّات، وقد وصف ذلك المفتّش بدقّة في تقريره . . قال بالحرف الواحد (كنت كلما أُبلغت عن وقوع حادث جديد، أجزم قبل أن أذهب لمعاينة الجثّة بأنني سأجدها في أحد الممرّات) .

قال سامح بدهشة :

ـ يا إلهي . . إن معنى ذلك أن الرصاصات القاتلة كلّها أُطلقت

على الضحايا من مكانٍ معيّن داخل الفندق . .

هزّت نهلة رأسها بهدوء وقالت :

ـ هذا ما أردت إقناعكم به . .

أسرع سامح مغادراً المكان ليعود بالرسم التخطيطي الذي كان ضمن تقرير المفتش، ونشره أمامهم وقال :

ـ يمكننا تحديد الزوايا التي أُطلقت منها الرصاصات القاتلة . .

قال مازن بإعجاب :

ـ أستطيع أن أقسم أن الأمر قد تم كما صورته وسيلة . . يستطيع الجناة وضع علامة مميّزة على ظهر الضحية بطريقةٍ ما . . . وبعد ذلك يسهل على أي قنّاص أن يُصيب الضحيّة بإحكامٍ ودقّة . .

أجابه سامح :

ـ في هذه الحال، وعلى ضوء هذا الاستنتاج الرائع، علينا تحرِّي ثلاثة أمور . . أوّلاً . . الكشف عن اليد المساعِدة داخل الفندق . .

سأله جعفر باستغراب :

ـ أي يد مساعِدة . . ؟؟ إذا صح افتراض وسيلة يجب البحث عن أكثر من يد مساعِدة . .

أجابه سامح :

ـ هذا صحيح . . أوّلاً القنّاص الذي يُطلق الرصاص . . ثم من

يحميه أثناء تواجده، ثم الثالث الذي يقص القماش . .

قبل أن يواصلوا النقاش جاء صوت الخفي غاضباً وهو يقول:

ـ ما هذا الهراء الذي أسمعه . . ؟؟ هل حضرتم إلى هنا لتفنّدوا وتستنتجوا . . ؟؟ إن كل ما تسعون للوصول إليه معروف لنا، فلا تجهدوا أنفسكم بالتفكير والاستنتاج . .

أحسُّوا بالحرج والخجل من لومه العنيف، وأخذت سامح العزّة فقال:

ـ لم يحن بعد وقت ذهابنا، فرأينا مناقشة الأمر على ضوء ما جاء في الصحف وتقرير المفتّش . .

جاء صوت الخفي أقل حدّة وهو يقول:

ـ أعلم هذا، ولكن الاستنتاجات والتكهّنات لن تفيدنا شيئاً . . يجب أن نتحرّك . . يجب أن نعمل . . فليس لدينا متّسع من الوقت . .

أجابه سامح:

ـ إذن نذهب من فورنا إلى الفندق ونتناول طعامنا هناك . .

قال الخفي:

ـ لم أعنِ هذا يا سامح . . ستعرفون كل شيء في حينه، فلماذا هذا التوتر . . أخرجوا وجولوا في أنحاء المدينة، ثم عودوا إلى هنا قبل أن يتأخّر بكم الوقت . .

ودون حماس وبخطوات متثاقلة، ذهب كلٌّ منهم إلى غرفته ليبدِّل

ثيابه، ثم تجمّعوا في بهو المكان . . وقف سامح في وسط المكان وأشار لهم بعينيه منبّهاً ثم همس:

ـ إنها خلف الباب تتنصّت على ما نقول . .

قال ذلك واتّجه نحو الباب وفتحه بغتة، فكادت الفتاة أن تسقط، إلَّا أنّه أمسك بها وهو يبتسم معتذراً:

ـ كم أنا آسف يا آنسة . . لم أكن أدري أنك ستدخلين لحظة فتحت الباب . .

تمالكت الفتاة روعها بسرعة وقالت:

ـ يا إلٰهي . . لقد أفزعتني يا سيِّدي . . كنت في طريقي لأسألكم إن كنتم ستتناولون طعامكم هنا أم في الخارج . .

أجابها سامح بلطف:

ـ ربما تناولناه في الخارج يا آنسة . .

وعندما اكتمل عددهم وتأهّبوا للانصراف، كانت في وداعهم حتى الباب، حيث هبطوا إلى الحديقة الجميلة . . وما أن أصبحوا في مأمن من سماعها لحديثهم قال سامح:

ـ لقد تأكّدت الآن أنها دُسَّتْ علينا لتراقبنا . . وقد تكون هي طرف الخيط الذي يوصلنا إلى من يهمّنا الوصول إليهم . .

جولة في المدينة

كان يقود السيارة التي اختاروها سائق شاب بادي المرح.. سألهم باسماً:

- هل ترغبون القيام بجولة في المدينة لمشاهدة معالمها..؟؟

أجابه مازن:

- ليتك تفعل، فإنها زيارتنا الأولى لبلادكم الجميلة، خاصة منطقة الميناء الذائعة الصِّيت..

تجهّم وجه السائق فجأة وكساه حزنٌ مفاجىء وقال:

- وماذا تنتظرون أن تروا في الميناء.. لقد محوا آثار الكوارث وشُيِّدَ الميناء من جديد.. أزالوا من الوجود كل ما تبقّى من آثار المذابح الرهيبة، ولكنهم لن يمحوها من أنفسنا نحن أبناء الجزيرة التي عُرفت بالمرح والفرح الدائم..

أدركوا أنّهم أثاروا أشجانه بطلبهم، فقال سامح بشيء من الحنان والعطف:

- كم نحن آسفون إذ حرّكنا أشجانك، ونبشنا في أعماقك عن جروح كاد الزمن أن يطويها..

تنهّد السائق بحزن وقال بصوت متهدّج:

- لا يا سيِّدي.. إنك تجهل عاداتنا وتقاليدنا وحبّنا العظيم لتراب أرضنا..

وسكت لحظة ثم تابع قائلاً بانفعال:

- هل بإمكاني نسيان لحظة فقدتُ فيها كل شيء.. أمّي وأبي وإخوتي ومنزلنا الجميل.. نعم.. فرغ الكون من حولي في لحظة، فقد ذهب الجميع وخلفوني طفلاً في الخامسة أبحث وأنقّب عنهم بين الأنقاض والحطام، كنت أقتات من النفايات كالكلاب الضالّة، وكم مرة تشاجرت مع لداتي بشراسة في سبيل الحصول على شيء يؤكل.. نعم.. أي شيء يؤكل.. كيف أنسى كل هذا يا سيِّدي...؟؟؟

غلبهم التأثُّر الشديد فصمتوا جميعاً... وبعد لحظة قال جعفر:

- فلنتوقف عند هذا القدر من الحديث.. سنترك لك اختيار الأماكن التي تراها مناسبة، ولا تحرِّك في نفسك الذكريات المؤلمة..

قال السائق بحماسٍ وهو يبتسم:

- شكراً لكم وأعتذر عن انفعالي.. سأذهب بكم إلى كل مكان أتوقع أن يدخل البهجة إلى نفوسكم..

وبالرغم من الجولة الواسعة التي قام بها، إلاّ أن الجو الحزين الذي بدأت به الرحلة كان لا يزال مسيطراً على حواسهم، لذلك كانت لكلمات وسيلة وقع السحر.

قالت وسيلة:

- سمعنا بأن شواطئكم غنية بالأسماك وأنا.. بل نحن جميعاً من هواة الصيد..

أجابها السائق متهلِّلاً:

- إذن سأذهب بكم إلى المكان المخصّص للصيد، وستجدون هناك من أصحاب الملايين عدداً كبيراً، جاؤوا إلى بلادنا خصّيصاً للاستمتاع بلذة الصيد الوفير الذي لا ينضب..

قالت وسيلة:

- سنكتفي هذه المرة بالمشاهدة، أمّا في المرة القادمة فسنستعد بمعدّاتنا ونقضي يومنا في الصيد..

قال سامح فجأة وهو يشير إلى إحدى الجزر في عرض البحر:

- ما أجمل الحياة على هذه الجزر الصغيرة.. سمعنا أن مليونيراً اشترى واحدة منها.. هل هذا صحيح..؟؟

أجابه السائق:

- صحيح يا سيِّدي، وقد شيّد لنفسه فيها قصراً جميلاً.. إنه آيةً في فن البناء..

قالت نهلة:

- يقولون إنه قصر أسطوري..؟؟

أجابها باسماً:

- هذا صحيح يا سيدتي، والعجيب أن صاحبه لم يشاهده حتى الآن.. عسىٰ أن تنجلي الغمة ولا تحل عليه اللعنة التي أودت بحياة ستة من أمثاله..

قال جعفر بهدوء:

- لقد تابعنا أخبار هذه الجرائم في الصُّحف بعد أن تناقلتها وكالات الأنباء، وأذاعت تفصيلاتها على العالَم كلّه.. حقاً إنها حوادث مؤسفة، ولا شكّ أنها أثّرت على البعض، فانصرف عن الحضور إلى هنا..

أجابه قائلاً:

- حدث هذا بالفعل، وإن كان الهدوء النسبي الذي تلا تلك الأحداث قد أعاد الحياة إلى طبيعتها.. إن موسم هذه السنة لا بأس به.. ولكن الغريب في الأمر أنّهم لم يتوصّلوا إلى معرفة الجُناة، مما اضطر مدير الشرطة إلى تقديم استقالته، ولكن حمداً للّه رفضوا قبولها.. إنه رجل نبيل، ويندر وجود أمثاله، لذلك قُوبِل رفض استقالته بالسرور من الجميع..

وعندما مرّ بهم أمام الفندق قال شارحاً:

- وهذا هو أجمل ما في الجزيرة من حيث الفخامة والأبهة.. لقد شُيِّدَ خصيصاً ليكون على استعداد لاستقبال أصحاب الملايين، وما أكثرهم.. هل ترغبون في دخوله..

أجابه سامح:

- سنفعل ولكن ليس الآن..

ضحك جعفر وقال:

- ماذا دهاك... أتخاف من دخول الفندق.. اطمئن يا صديقي فلا خوف على أمثالنا..

تضاحك سامح وقال:

- وماذا أخشى..؟؟ ألم يهرب الجناة من الجزيرة..؟؟

أجابه السائق:

- أنا لا أريد إخافتكم، ولكن الواقع أن أحداً لم يغادر الجزيرة إثر الحادث الأخير إلّا بعد تفتيش واستفسار شديدين..

قالت نهلة متظاهرة بالخوف:

- يا إلٰهي... أتعني أن الجناة لا يزالون في الجزيرة ولم يبرحوها..

ابتسم السائق ليطمئنها ثم قال:

- حتى لو كانوا لا يزالون في الجزيرة، فلا خوف عليكم أو على

سواكم منهم، طالما أنكم لستم من أصحاب الملايين..

قال جعفر متظاهراً بالدهشة:

- وهل يعقل أنهم لا يزالون هنا..؟؟ لا يمكن أن أصدِّق هذا، وإلّا اعتبرتهم مجانين.. أبعد أن نجحوا في الهرب والإفلات من يد الشرطة يبقون في الجزيرة..؟؟

كانوا قد اقتربوا من الفيلا.. فهدَّأ السائق من سرعته... والتفت إلى جعفر قائلاً:

- أمرٌ مؤكّد يا سيدي، إنهم لا يزالون في الجزيرة. فعقب وقوع الحادث الأخير، كان أوّل أمرٍ أصدره مدير الشرطة هو منع كل من بالجزيرة من الرحيل قبل أن يُعرض عليه شخصياً..

توقفت السيارة أخيراً. وقبل أن يغادرها سامح أخرج حافظته ليدفع أجرة السائق، وكم كانت دهشته كبيرة عندما رفض قبولها بإصرار، رغم سخائه بالدفع، فقال متعجباً:

- نشكر لك هذا الكرم، ولكن كيف لا ندفع أجرك على الأقل..؟؟

ابتسم السائق وقال:

- إن السيد الذي أرسلني يجزل لي العطاء فلماذا أستغلّكم..

بهتوا جميعاً وانتابتهم الهواجس، وسأله جعفر:

- السيد..؟؟ أيّ سيّد..؟؟ ألم نصادفك في الطريق

ونستوقفك. . ؟؟

اتسعت ابتسامة السائق وأجابه قائلاً:

ـ هــذا صحيــح وقــد طلب منّي السيــد أن أقف في انتــظار خروجكم. .

أدركـوا أنهم سقطوا في شـرك أُحكم تدبيـره، فـاستبـدّ الغضب بمازن، وقال بشيء من الحدّة:

ـ ومن يكون هذا السيِّد؟؟ أرجو أن تجيبنا بصراحة وإلاّ. .

وشهر مسدسة فضحك السائق وقال:

ـ أعد سلاحك إلى مكانه. . إنه من يسمي نفسه بالخفي. . أيكفي هذا لإقناعكم أنني لست جاسوساً أتجسّس عليكم. .

تنفّسوا الصعداء وقال مازن معتذراً:

ـ يا إلٰهي. . لماذا لم تخبرنا بهذا قبل أن تصل بنا الأمور إلى ما وصلت إليه. . ؟؟

ضحك السائق وقال:

ـ وما أدراني بأنّكم ستنقلبون عليّ بهذه السرعة لرفضي أخذ الأجر منكم. .

وعندما انصرف السائق كانوا قد طيّبوا خاطره تماماً. .

* * *

كانوا لا يزالون في الحديقة عندما قالت وسيلة:

ـ يا إلٰهي كدنا نرتكب خطأً فادحاً. .

أجابها مازن:

ـ ومن أين لي معرفة حقيقته. . أتعتقدين أنني كنت سأتركه يفلت من يدي لو لم ينطق باسم الخفي. .

سمعوا صوتاً يقول:

ـ شكراً جزيلاً يا مازن. .

تسمّروا في مكانهم وتابع الخفي يقول:

ـ لقد توصلت إلى معلومات غاية في الأهمية. . لقد أصبح الأمر محصوراً الآن، وستتمكنون من إتمام ما بدأته بسهولة. .

كان واضحاً أنهم لم يفهموا ما يعنيه، لذلك سأله سامح:

ـ هلاّ أوضحت لنا. . أم تخشىٰ من شيء. . ؟؟

أجابه الخفي:

ـ ماذا دهاكم. . ؟؟ أنا أخشىٰ من شيء. . ؟؟ إنّ كل ما يدور داخل الفيـلا من إعدادي وترتيبي، وكنت أهدف من ورائه الإمساك بطرف الخيط وقد فعلت. .

سألته نهلة:

ـ أتعني الخادمة. . ؟؟

أجابها ببساطة:

ـ نعم.. لقد سَجَّلَتْ حديثكم كلّه، وأَرْسَلَتْ الشريط إلى من كان يهمّني معرفته والوصول إليه..

سألته وسيلة:

ـ وهل سنبقي عليها بيننا بعد أن تبينت حقيقتها..؟؟

أجابها من فوره:

ـ بالطبع، وإلاّ كيف يتسنّىٰ لنا تزويد الأعداء بما نشاء من معلومات تُوقِعهُ في حبائلنا..؟؟ يجب أن تسمع وتسجّل من الأحاديث ما يثير الاهتمام بكم..

استبدّت بهم الدهشة لهذه المعميّات، وقال جعفر:

ـ كأنّنا أصبحنا معروفين لهم..؟؟

أجابه الخفي:

ـ نعم وهذا ما تعمّدْته.. قد يبدو الأمر غريباً ومتناقضاً مع حرصي الشديد الذي أبديته في أوّل الأمر من الإبقاء على سرية وجودكم حتى تبقىٰ شخصياتكم مجهولة، ولكن بعد أن تنتهوا من سهرتكم الليلة ستنجلي لكم أمور كثيرة، فحتى ذلك الحين أرجو أن تكونوا طبيعيين في كل تصرّفاتكم خاصة مع الخادمة..

سأله سامح:

ـ والسائق..؟؟ أيمكننا الاعتماد عليه..؟؟

وبعكس ما كانوا يتوقعون أجاب:

ـ لا.. لا تسرفوا في ذلك.. إنه محل ثقتي، ولكنه يجهل كل شيء عن أعمالي.. سيحضر في التاسعة لينقلكم إلى الفندق، وقد حجزت لكم منضدة ملاصقة لمائدة أجمل فتيات الجزيرة..

ضحكت نهلة وقالت:

ـ قد يغري ذلك الشباب، أمّا أنا ووسيلة فلا حاجة لنا بهذه الحسناء..

سمعوا ضحكة الخفي الذي أجابها قائلاً:

ـ هكذا إذن..؟؟

أجابته وسيلة:

ـ نهلة محقّة.. فقد يشغلهم وجودها ويصرف انتباههم عمّا يدور في المكان..

ولأوّل مرة يسمعون الخفي يقهقه ضاحكاً بمرحٍ زائدٍ... ثم قال:

ـ وهذا ما أريده بالضبط... أريد أن ينشغلوا بها..

ثم تابع:

ـ يكفي هذا الآن فقد طال وقوفكم بالحديقة، والأعين تحصي عليكم حركاتكم من داخل الفيلا.. لنا حديث لاحق في وقتٍ ما هذه الليلة..

تظاهروا بأنهم منهمكون في حديثٍ مرح ودخلوا إلى الفيلا، وكانت الخادمة الفاتنة في استقبالهم بابتسامتها الحلوة المرحّبة..

قالت بإعجاب:

- إنكم بمنتهى الدقّة في مواعيدكم.. هل أخبرتكم عن ساعة تناول الطعام قبل خروجكم..

تضاحكت نهلة وقالت:

- لا ولكننا اعتدنا تناول طعامنا في مثل هذا الوقت..

قال مازن:

- المهم الآن هو الطعام نفسه... أعتقد أنني سَأَلْتَهِمُ كُلَّ ما سأجده أمامي..

استدارت الخادمة باسمة وقالت:

- ماذا تنتظرون إذاً..؟؟ إن المائدة حافلة في انتظار من يلتهمها..

تبعوها إلى غرفة المائدة، وفي جوٍّ ساده المرح، انقضُّوا على الطعام الشهي، ونالوا منه كمية لم يسبق لهم تناول مثلها، خاصة نهلة ووسيلة. وعندما فرغوا من طعامهم وغادروا المائدة، كانت الخادمة تقف أمامهم مبتسمة.. ثم سألتهم:

- هل راقكم طعامنا..؟؟

اختلطت أصواتهم وكلّها تعبّر عن الإعجاب... اتسعت ابتسامة

الفتاة وهي تقول:

- سألحق بكم بعد إعداد القهوة..

انتقلوا إلى الصالون الأنيق، وفي ذهن سامح تدور زوبعة من الأسئلة التي لم يجد لها إجابة.. ما كل هذا الغموض..؟؟ لماذا يتعمّد الخفي على غير عادته إغراقهم في بحرٍ من المتاهات المحيّرة..؟؟ وكيف يكشف عن شخصيّاتهم لهؤلاء السفّاحين، ويسمح لهم بالتجسّس عليهم، وللبعض منهم بالعيش معهم تحت سقفٍ واحد..؟؟

كانوا يراقبون استغراقه في التفكير بآهتمامٍ عندما دخلت الفتاة تحمل أقداح القهوة، ومن خلفها شاب يرتدي ملابس الخدم الرسمية، وقد رأوه الآن لأول مرة، فتأمّلوه باستغراب..

قالت الفتاة تقدّمه لهم:

- إنه سونج.. وهو هنا لمساعدتي في خدمتكم..

انحنىٰ لهم محيياً وانسحب بهدوء... فتبادلوا نظرات صامتة لا تخلو من الدهشة.. ها هو الخفي يعود إلى مفاجآته.. ومن يكون هذا السونج..؟؟ وهل هو محل ثقة أم ضمن رجال العصابة المتربصين بهم..؟؟

* * *

في فندق الأحلام

كانوا بكامل رونقهم وبهائهم عندما غادروا السيارة أمام باب الفندق.. انحنى أحد الخدم بزيّه الزاهي المزركش محيياً وسبقهم ليفتح لهم الباب البلوري الضخم.. أسرع إليهم خادم آخر وانحنى باحترام وقال:

ـ تفضّلوا.. ما هو رقم المائدة..؟؟

أجابه سامح ببساطة:

ـ لا نعرف.. لقد حُجِزَت المائدة بآسمنا.. اسمي سامح..

خيّل إليهم أن الخادم أخفىٰ ابتسامته وهو يقول مرحّباً:

ـ من هنا لو سمحتم..

وقادهم إلى المائدة، فجلسوا حولها تتوسّطهم وسيلة، وكانت محطّ الأنظار بجمالها الفتّان الذي أبرزه الماكياج المتقن، ولم تكن نهلة أقلّ منها روعةً وجمالاً..

همس جعفر مازحاً:

ـ أرىٰ أننا لم ننشغل بجمالٍ ما، بعكس الحضور هنا، فقد تركزت أنظارهم علينا..

أجابه مازن بهدوء:

ـ كيف لا وأنت بيننا تمثّل الجمال الأفريقي الساخر..

قبل أن يجيبه، لاحظوا أن جميع الموجودين اتّجهوا برؤوسهم ناحية باب الصالة، فحذوا حذوهم ووقع بصرهم على السحر مجسّماً يخطر باسماً باتجاههم.. حقاً كانت كما وصفها الخفي.. لا جدال في أنّها أجمل فتيات الجزيرة، إن لم تكن من أجمل فتيات الدُّنيا بأسرها.. ولولا هذا الشاب العابس المرافق لها ما أزاحوا بصرهم عنها لحظة واحدة، خاصة جعفر الذي ظلّ محملقاً فيها بصورة أزعجت الشاب الذي يرافقها، فرماه بنظرة غاضبة قبل أن يستوي جالساً..

شعر جعفر بقدم سامح تضغط على حذائه منبّهاً، فاستفاق من أحلامه وقال:

ـ يا ألطاف اللّه.. هل يعقل أنّ في العالَم جمالاً على هذه الصورة..

أجابته نهلة بإعجاب:

ـ حقّاً إنها رائعة..

قالت وسيلة بانبِهارٍ:

ـ رائعة.. بديعة في كلّ شيء..

كانت الفتاة قد جلست والابتسامة لا تفارق شفتيها، والأبصار تأخذها من كل جانب، والشاب يبدو متبرّماً غير مرتاح لذلك. . . .

بعد لحظات سمعوه يقول:

- يا لهم من سخفاء. . إنهم لا يرفعون أبصارهم عنك. .

عندما انسابت أنغام الموسيقىٰ الحالمة، غادروا المائدة إلى حلبة الرقص تاركين سامحاً بمفرده، بينما انهمك الشاب العبوس وفتاته الجميلة في تناول طعامهما وهما يتبادلان حديثاً هامساً يتخلّله الكثير من الابتسامات. .

وبعد قليل غادرا المائدة، لينضمّا بدورهما للراقصين في الحلبة. . . . هنا شاهد سامح رجلاً أشيب الشعر، بادي التعجرف، يضع على عينه اليسرى مونوكل (نظارة أحادية الزجاجة)، يحتلّ مقعداً إلى مائدتهما الخالية، ويشير بإصبعه بحركة متعالية منادياً الجارسون الذي هرول ناحيته، فقال دون أن يلتفت إليه:

- شمبانيا. .

انصرف الخادم مهرولاً، في حين أخذ الرجل يلقي بنظراته المتعالية السريعة نحو الموجودين. . والتقت عيناه بعيني سامح للحظة خاطفة، ولا يدري سامح سرّ ما انتابه من نفور لرؤية هذا الرجل الفظّ المتعالي. .

وانتهى الشوط وتوقفت الموسيقىٰ برهة، لتتيح فرصة لمن يودّ الانسحاب من الحلبة، وكانت جارتهم الحسناء ضمن هؤلاء، فقد

لمحها سامح هي ورفيقها في طريقهما إلى المائدة، وقبل وصولهما وفد إليها وافد جديد، برفقة فتاتين جميلتين.

استقبلهم صاحب المونوكل بابتسامة متكلّفة، ورحّب بالفتاتين ثم انصرف عنهما، وتابع شربه لقدحه بتلذّذ واضح. .

لدى وصول الفتاة الحسناء إلى المائدة، قالت بصوتٍ مسموع:

- كارل. . ها أنت أخيراً. . أين اختفيت كل هذا الوقت. . ؟؟

أجابها كارل:

- ذهبت إلى المرفأ لبعض الوقت. .

سمع سامح إحدى الفتاتين تقول بإعجاب:

- يا له من يختٍ رائع. . إني لم أشاهد يختاً بكل هذا الجمال يا عزيزتي. .

تكلّم رفيق الحسناء العابس بصوت مرتفع:

- هل حضرت خصّيصاً لحضور حفل الزواج يا كارل؟

التفت صاحب المونوكل، ونظر إليهم باستخفاف، وقال باستنكار:

- يحضر خصيصاً لحضور حفل الزواج؟؟ يا لها من طرفة. . ؟؟

أجابته حسناء الجزيرة:

- وما الغريب في ذلك يا روجر. . ؟؟ غالبية الحضور هنا جاؤوا لهذا السبب. .

وتدخلت إحدى الفتاتين في الحديث قائلة:

ـ هذا صحيح.. وأنا واحدة من هؤلاء.. لقد أرسلتني المجلة لتغطية أخبار العرس، وإلاّ ما تمكنت من الحضور إلى هنا، والنزول في هذا الفندق الذي لم يبنَ إلاّ لأمثالكم من أصحاب الملايين..

قال كارل ببساطة:

ـ سيكون عرساً رائعاً بالفعل.. ألاَ تتوقعين ذلك يا مارجي..

أجابته ملكة الجمال:

ـ هذا هو المنتظر بعد الاستعداد الضخم الذي استعدُّوه..

ثم ابتسمت والتفتت إلى ماري وقالت:

ـ آنسة ماري.. قلت منذ لحظات أنك حضرت خصّيصاً لتغطية أخبار العرس... ترى إلى أي حدٍّ نجحت في مهمتك..؟؟ هل حصلت على معلومات تستحق هذه الرحلة الطويلة..؟؟

أجابتها ماري بجديّة:

ـ نعم.. حصلت على معلومات تُدير رؤوس القرّاء..

واندفعت في حديث طويل تعدد فيه أنواع الطعام الذي أعدّ خارج الجزيرة، وأحضرته الطائرات إليها، وعددت أنواع الزهور النادرة التي أرسلت بدورها من جميع أنحاء العالم... وكان سامح يستمع إلى ما تقول بذهول.. وساءل نفسه في أي عُرف يجري كل هذا..؟؟ أتصرف كل هذه الأموال من أجل حفل سينتهي كغيره بعد ساعات..

وقطع عليه تفكيره حديث ماري، إذْ سمعها تقول بصوت تعمّدت أن يكون خافتاً بعض الشيء:

ـ وليس هذا كل ما نجحت في الفوز به من رحلتي إلى هنا..

سألتها مارجي:

ـ كيف..؟؟

أجابتها ماري:

ـ لقد تعرّفت على شلة من أبناء الأمراء العرب.. إنهم هنا ويحتلّون المائدة المجاورة..

قالت ذلك واستدارت لتواجه سامح بابتسامة ساحرة وقالت:

ـ عزيزي سامح.. هل تسمح لي بأن أقدّمك لأصدقائي..

بُهِتَ سامح، وارتبك للحظات، وأحنى رأسه محيياً الجميع، ثم وقف وتقدّم من المائدة..

قدّمته ماري إليهم الواحد بعد الآخر، فقالت مارجي:

ـ إنها فرصة جميلة يا سيد سامح أن نتعرّف على أُمراء من الشرق الغامض..

كاد سامح أن يفقد عقله.. أمير..؟؟ من تكون هذه الفتاة التي تنعته بأنّه أمير، وهو لم يسبق أن رآها أو تعرّف عليها..

قالت ماري متابعة:

ـ لماذا لا تنضمُّون إلينا. . ستكون سهرة ممتعة إذا ما قضيناهـا معاً. . . أليس كذلك يا عزيزتي مرجريت. . ؟؟

ابتسمت مارجي وقالت:

ـ دون شك. .

اضطر سامح إلى الجلوس، وأيقن أن الخفي وراء كل هذا. . قال كارل:

ـ بالغت الآنسة ماري في وصف حياة الأمراء الشرقيين، ويسرّنا أن نسمع من واحدٍ منهم المزيد. .

ارتبك سامح، وقبل أن يجيبه، شاهد وسيلة تتقدّم ناحيتهم ومن خلفها باقي الرفاق، فهبّ من مكانه واستقبلها باسماً، وإن ركّز عينيه على عينيها الدهشتين وقال:

ـ عـزيزتي وسيلة. . تقـدّمي لأعـرّفـك إلى أصـدقـاء غـايـة في الظرف. .

أدركوا أنه يهـدف لأمرٍ معيّن، فكـان تصرّفهم طبيعيـاً للغايـة. . وعندما انضموا إلى المائدة، قالت ماري مشيرة إلى جعفر:

ـ أمّا هذا الشاب الأبنوسي الجميل فهو الابن الوحيد لأبيه. فوالده أمير يملك ألف سبيكة ذهبية، وأموالاً لا تحصىٰ ولا تُعدّ. . !!

اتّسعت عيونهم من شدة الدهشة، فتابعت ماري:

ـ ويملك في نيويورك شارعاً كاملاً و. .

قال جعفر بتواضع:

ـ آنسة ماري. . يكفي أرجوك. . أنا لا أحب الحديث في هذه الأمور. .

نظرت إليه مارجي بإعجاب وقالت:

ـ لا تحب الحديث عن الذهب. . ؟؟ من منّا يكره الذهب وينفر من الحديث عنه. . ؟؟

قال جعفر باسماً:

ـ أفضّل عليه الحديث عن سحر هذه البلاد الجميلة الرائعة. .

والتفت إلى وسيلة وقال:

ـ أليس كذلك يا عزيزتي؟؟

ابتسمت وسيلة وقالت:

ـ إن الحديث عن الذهب لا يزعجني. .

ضحكوا لقولها وسألها كارل:

ـ طالما أنكم تنزلون معنا في فندقٍ واحد، فاسمحوا لي بدعوتكم لتناول العشاء غداً. .

أجابته ماري:

ـ ومن قال إنهم ينزلـون في الفندق. . ؟؟ لقـد استأجـروا قصراً صغيـراً يطل على الخليـج. . والسبب في ذلـك هـو والـد الآنسـة

وسيلة.. اشترط عدم نزول ابنته في الفنادق أينما ذهبت، كشرطٍ أساسي لموافقته على اشتراكها في الرحلة..

قال كارل:

- إن هذا لا يغيّر من الأمر شيئاً.. إنني أدعوهم لقضاء اليوم على ظهر يختي، فنجول جولة ثم نعود لتناول طعامنا هنا..

نظروا كلّهم إلى وسيلة، وكأنّهم يسألونها الرأي، فقالت بخجل:

- شكراً لدعوتك الكريمة.. ولكن..

قاطعها كارل قائلاً:

- أرجوك يا آنسة.. أنا لا أحب الاعتذار..

ابتسمت وسيلة وقالت:

- إذن أرجو أن تتيحوا لي فرصة الاتصال بوالدي وسؤاله، فإن سمح بذلك فيشرّفني تلبية دعوتك..

استبدّت بهم الدهشة، وسألها روجر باستغراب:

- تتّصلين به لسؤاله إن كنت تقبلين دعوة للعشاء..؟؟ إنه أمر غريب حقّاً..

أجابه سامح:

- إن الأمير شديد التحفّظ والخوف على وحيدته، ولكنني سأكون إلى جوارها أؤيّدها، وأعتقد أنّه لن يرفض طالما سيعلم أنها معي..

وسكت برهة تظاهر خلالها بالخجل، ثم تابع:

- نسيت أن أخبركم بأنّها خطيبتي..

أشار روجر لرئيس الخدم، فأسرع إليه، فقال بصوت مسموع:

- ضم حساب مائدة السادة إلى حسابي..

أجابه بأدب:

- آسف يا سيدي... فقد سبقكم سمو الأمير وسدّد حساب المائدتين..

نظروا إلى سامح باستغراب.... ثم قالت مارجي:

- يا إلهي.. هل نسي الأمير أنكم ضيوفنا..؟؟

أجابها سامح:

- أرجو أن تغفروا لي تصرّفي هذا، فلم أضع في حسباني أموراً كهذه.. على أي حال يمكنكم أن تفعلوا الشيء نفسه متى نزلتم في ضيافتنا.. هذا إذا تفضلتم وقبلتم زيارتنا في بلادنا..

جاءت موافقتهم جماعية، وتظاهر سامح بالسعادة، عندها قال كارل:

- ما رأيكم في جولة نقوم بها على ظهر يختي.. إن الجو جميل، وأعتقد أن يختي المتواضع مكان مناسب لقضاء ليلة قمرية كهذه..

قالت ماري بمرح:

ـ يختك المتواضع . . . يا إلٰهي ما أشد تواضعك . . إنه قطعة فنية عائمة . .

تبادلوا نظرات متسائلة، وقالت وسيلة :

ـ لا مانع يا سيدي ، ويسعدنا ذلك جدّاً . .

وفي طريقهم إلى خارج الفندق، فاجأ روجر سامحاً بسؤال :

ـ سيد سامح ، إنه أمر يحيرني . . إنك لم تغادر المائدة بعد انتقالك إليها، فكيف أصدرت أمرك بتسديد الحساب . .

كان سؤالاً محرجاً، ولكن سرعة بديهته أسعفته بالإجابة، فقال :

ـ الأمر لا يستحق كل هذا الاهتمام يا سيدي . . إن والدي أصدر أوامره بتسديد حساب أي مائدة ننتقل إليها . . إنها عادة لا أكثر . .

وعند باب الفندق كانت في انتظارهم السيّارات الفاخرة، فركبوها، وكان سامح يتوسط مارجي وكارل . . قالت مارجي بإعجاب :

ـ إن سياراتكم رائعة يا سيد سامح . . يبدو أنها صنعت خصيصاً . .

حدّث سامح نفسه . . . سياراتنا . . ؟؟ يا إلٰهي . إني لم أركب في حياتي سيارة كهذه . . إن المفاجآت تتوالىٰ على رأسي . . . قال بهدوء :

ـ إن سياراتنا كلها تصنع خصيصاً . . لقد أهداني والدي مؤخراً سيارة ألفاروميو التي تعتبر أسرع سيارة خاصة في العالم كلّه، وإن حرَّم عليَّ استعمالها بعد أن تعرضت لحادثٍ بسيط . .

أجابه كارل ويده تتسلّل إلى يد مارجي، وتضغطها من خلف ظهر

سامح ، فازدادت التصاقاً به :

ـ إنه محقّ، فأنتم شباب اليوم تستهترون بحياتكم . .

وصلوا إلى المرفأ في دقائق معدودة، وغادروا السيارات إلى اليخت الجميل، وأثناء تقدّمهم نحو السلم الممتد إلى الشاطىء، اقتربت ماري من سامح وقالت هامسة :

ـ كنت رائعاً يا سمو الأمير . . إن الخفي يعرف كيف يختار رجاله . . ابتسمْ وكأننا نمزح . .

تضاحكا بصوت مرتفع، فأسرعت مارجي وانضمت إليهما وهي ترمي ماري بنظرة غير وديّة، وقالت :

ـ يبدو أن الآنسة ماري معجبة بالأمير الشاب، ألاّ تخشين من خطيبته . . ؟؟

ضحكت ماري وقالت :

ـ الحق يُقال يا مرجريت . . إنه فارس عربي طالما داعب خيالي . .

ضربة موفّقة

انطلق اليخت متوغلاً في البحر مسافة طويلة. وقد كانت مارجي تلازم سامحاً كظلّه، ولم تترك له فرصة للتحدّث مع ماري....

أثناء رحلة العودة، انتهزت ماري فرصة سانحة، وقالت لسامح:

ـ قد يدعونكم للنزول في الفندق أو اليخت فلا تمانعوا..

أما مارجي فقد أدركت أنها سيطرت على سامح سيطرة تامة... وفي لحظة هادئة همست في أذنه:

ـ سامح.. لماذا لا يضمّنا مكان واحد... إما أن تنضموا إلينا في الفندق، أو ننضم نحن إليكم في قصركم، المهم أن تبقى قريباً منّي.. إن هذا الغيور لا يترك مراقبتي لحظة واحدة، وإلاّ لحضرت للقائك في أي مكان.. ولكن وجودك بالفندق سيتيح لنا فرصاً أكثر للقاء من وراء ظهره..

أجابها بحذر:

ـ سأحاول إقناعهم بذلك، وإن كنت أقاسي بدوري من غيرة

خطيبتي..

جلس جعفر إلى جوار سامح في السيارة متوتراً، ثم قال بغيظ:

ـ يا لك من أناني يا سمو الأمير. لقد استأثرت بمارجي الساحرة طوال الليل ولم تتركها لحظة واحدة..

أجابه بعظمة مفتعلة:

ـ وماذا في ذلك يا أمير جعفر..؟؟

أغرقا في الضحك فجأة.. وقال جعفر:

ـ يا له من حلم جميل.. أكاد أشكّ في أننا بالفعل أُمراء بعد كل هذا التمثيل المتقن الذي أديته بمهارة..

أغمض سامح عينيه وقال:

ـ المهم لا توقظني من حلمي بصوتك النشاز هذا..

وعندما وصلت السيارات إلى الفيلا، كانت الأنوار تتلألأ في جميع حجراتها، فقال سامح:

ـ ما كل هذه الأنوار.. كأننا نقيم عرساً..

كانوا في الحديقة عندما سمعوا صوت الخفي يقول:

ـ يا أصحاب السمو.. يمكنكم الآن الحديث وإلقاء الأسئلة..

أجابوه جميعاً بأصوات تداخلت... فقال ضاحكاً:

ـ مهلاً.. مهلاً.. لقد كنتم في منتهى الروعة حتى خيّل إليّ أنكم

بالفعل أبناء أمراء.. هل لديكم ما تستفسرون عنه..؟؟

أجابه سامح:

- بالطبع.. ما هي الخطوة التالية..؟؟ لقد وافقتهم على الانتقال إلى الفندق..

قال الخفي:

- الخطوة التالية ستكون اختطاف جعفر.. لا تدهشوا.. سيختطفون جعفر حتى يرسلوا في طلب الفدية من والده الملياردير الشيخ سليمان.. تذكر هذا الاسم جيداً.. سينقلونك بعد اختطافك إلى المكان الوحيد الآمن..

أجابه جعفر:

- إلى اليخت أليس كذلك..؟؟

قال الخفي:

- نعم، وستنعم بوقتٍ طيِّب بعد أن تحرّر لهم الرسالة التي سيطلبون منك كتابتها لسمو الأمير والدك، وستقبل كتابتها بطبيعة الحال..

ضحك جعفر الذي استهوته المغامرة وقال:

- ولا شك أنهم سيطلبون فدية تقدّر بالملايين. فمن أين لنا بهذه الملايين لندفعها لهم..

ضحك الخفي بدوره وقال:

- لقد أعددت للأمر، فلا تخشَ شيئاً، وإلاّ تركناك عندهم تسبح في يختهم الحالِم إلى الأبد.. عليكم الآن أن تناموا، فالغد حافل بالأحداث.. وأوّل شيء عليكم فعله في الغد، هو القيام بجولة في حوانيت المدينة، أريد منكم شراء كل ما هو غالٍ باهظ الثمن.. أسرفوا بجنون.. لقد غطيت كل مصاريفكم، فبعثروا المال بصورة لم يسبقكم إليها أحد.. وحتى لا يغلب عليكم تقتيركم.. على كل منكم أن يبعثر عشرين ألفاً من الدولارات..

حملقوا مبهوتين ناحية وسيلة، التي كانت بدورها تنظر إلى الجهاز المدلّى من عنقها بذهول.. قال جعفر:

- عشرون ألفاً لكل منّا.. وعلينا أن نصرفها كلّها..؟؟ وكيف يصرف مبلغ كهذا..

ضحك الخفي وقال:

- إنه أمر سهل ميسور، فما أسهل بعثرة الأموال.. بقي أن تعرفوا أنني لن أدفع دولاراً واحداً منها..

سألته نهلة:

- إنه لغزٍ جديد.. من سيدفعها إذن..

أجابها بهدوء:

- تكفّل بكل المصروفات إنسان لولا وجودنا لكان الآن موزعاً في بطون أسماك القرش التي يزخر بها البحر.

خطة محكمة

عندما دخلوا إلى غرفهم، وجد كل منهم مظروفاً عليه اسمه وبداخله عشرون ألفاً من الدولارات.

وفي اليوم التالي قاموا بجولة سريعة في متاجر المدينة.. بعثروا خلالها الأموال بلا حساب.. وعندما عادوا لتناول المرطبات في الفندق وهم في غفلة من أن تلك العجوز وزوجها وابنتهما الشابة الذين صادفوهم أكثر من مرة أثناء جولتهم.. كانوا يبلّغون كارل عن تنقلاتهم خطوة بخطوة، وأنهوا إليه بخبرهم مع الكثير من المبالغة، فقد أذهلهم إسراف المغامرين الجنوني، وكان هذا هو كل ما يهم كارل.. إنهم إذن حقاً من أبناء الأمراء، ونقل الأخبار إلى روجر ومارجي قائلاً:

- تصوروا.. لقد تسوّقوا بما قيمته مائة ألف دولار أو يزيد...

هتفت مارجي:

- لا تبالغ يا كارل..؟؟

أجابها بحماس:

- أقسم لك.... ومع ذلك سأتحرّىٰ الأمر بنفسي من المحلّات التي زاروها..

قال روجر:

- إذن علينا أن نختار من بينهم من هو أكثر ثروة.. أعني الوالد بالطبع..

قال كارل:

- من يكون في نظركم..؟؟

قالت مارجي:

- إن سامح قد سقط في الشرك بسهولة، وأعتقد أنه مناسب..

هزّ روجر رأسه نفياً وقال:

- صحيح أنه انزلق وتدلّه في هواك، ولكنني أفضّل لو كانت الرهينة ذلك الأسود.. ألم تسمعوا بثروة والده..

قالت مارجي:

- إن هذا يحتاج مني لتخطيط جديد، لأسقطه في الشرك، وأصحبه إلى اليخت..

قال كارل وهو ينظر إلى ساعته:

- أعتقد أنهم وصلوا الآن، فهيا إلى العمل..

والتقوا في حديقة الفندق، وانتهزت مارجي فرصة انفرادها

بجعفر، الذي ساعدها ببقائه في مكانه. . . . حدّثته بإغراء:

- لماذا لم تذهب معهم. .

ابتسم وقال:

- ولماذا لم تذهبي أنتِ. . ؟؟

ابتسمت بدلال وقالت:

- كنت على وشك الذهاب، ولكن بقاءك جعلني أبقىٰ. . ألا تحب أن تختلي بي. . ؟؟

أجابها بلهفة صبيانية:

- بل أتمنى ذلك من كل قلبي. . ولكني أخشىٰ أن يغضب صديقي سامح. .

تظاهرت بالدهشة وقالت:

- ولماذا يغضب صديقك. . ؟؟

أجابها بتردّد:

- اعتقدت أنك تولينه اهتماماً خاصاً ليلة أمس. .

نظرت إليه مستفسرة وسألته:

- ماذا تعني بذلك. . ؟؟

أجابها:

- أعني أن لوني مختلف، ولا تميل إليه النساء كما هي الحال مع البيض. .

تنهدت بإغراء وقالت:

- يا لك من ساذج. . ما الذي يدعوك إلى هذا التفكير. . ؟؟ ألا تعلم أن للسود سحرهم الذي يروق المرأة أكثر من البيض. . على أي حال سأثبت لك أنّك مخطىء. . هل توافيني غداً صباحاً عند المرسىٰ بالميناء. . ؟؟ سنقوم برحلة بحرية أنا وأنت بمفردنا. .

تهلّل وجه جعفر وقال بلهفة:

- أحقاً ما تقولين. . ؟؟ سأكون أسعد أهل الأرض بتلك الرحلة. .

أجابته وهي تضغط راحته بحرارة:

- سأكون بانتظارك في تمام السادسة. .

قالت ذلك ووقفت، ثم لوحت بيدها وقالت بصوت هامس:

- يحسن أن تنصرف الآن، إنه قادم. .

نهض جعفر وصافحها وانصرف، وحيّا في طريقه روجر الذي رماه بنظرة شكّ.

* * *

رحلة حالمة

نقل جعفر للخفي كل ما جرىٰ بينه وبين مارجي فأجابه:

ـ عظيم.. ستكون هناك في الموعد وأتمنى لك رحلة جميلة..

وفي الصباح أسرع جعفر إلى المرفأ قبل الموعد بنصف ساعة، أمضاها متظاهراً بالقلق ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى، وفي السادسة تماماً توقفت سيارة من سيارات التاكسي، وهبطت منها مارجي وأسرعت إليه وهي تتلفّت حولها بحذر، ثم قالت بلهفة:

ـ أسرع واتبعني..

هرول خلفها إلى سلم اليخت وارتقياه على عجل، وما كادا يفعلان حتى سحب السلم وأقلع اليخت بسرعة غريبة..

كانا يقفان متجاورين يتطلّعان إلى الشاطىء من نافذة تخفيهما عن الأعين.. قالت وهي تتظاهر بالبهجة:

ـ الآن فقط أمنت من إزعاجه..

قال بدهشة:

ـ كأنّك أعددت للأمر، فقد تم الإقلاع بسرعة..

ضحكت وقالت:

ـ لقد حضرت إلى هنا بالأمس وأعددت كل شيء..

وأوغل اليخت داخل البحر وهما يجلسان متقاربين جلسة حالمة، حتى اختفىٰ الشاطىء عن الأنظار، فاعتذرت منه لبعض الوقت وغادرت المكان، وما كادت تفعل حتى رأىٰ روجر وكارل أمامه وكأن الأرض انشقت عنهما.. بقي برهة ينظر إليهما متظاهراً بالخوف..

قال روجر ساخراً:

ـ أدهشك ظهورنا.. أليس كذلك..؟؟ اعتقدت أنك خدعتنا أيها القرد الأسود..

قال كارل بهدوء:

ـ دعك من هذا يا روجر.. عليه أن يرضيك لهذه الإهانة التي ألحقها بك..

تظاهر جعفر بمنتهى الخوف وقال:

ـ لم يحدث ما يغضبك، صدقني، ومع ذلك فأنا على استعداد لأي ترضية تطلبها..

قال روجر ببرود:

ـ إليك بهذا . .

ودفع إليه بقلم وورقة من أوراق الخطابات وقال:

ـ اكتب لوالدك رسالة وأخبره فيها بأنّك في حاجة ماسّة إلى مبلغ ستة ملايين من الدولارات وإلّا . .

وأشار بإصبعه إلى عنقه وكأنّه يذبح . . تظاهر جعفر بالرعب وقال:

ـ سأكتب فقط لا تقتلني . . صدقني، إنني لم أفعل ما يغضبك . .

قال كارل متسائلاً:

ـ لا أعتقد أن والدك من الغباء بحيث يهمل طلبنا، أو يحاول أن يتّصل بالشرطة . .

أجابه جعفر على عجل:

ـ لا . . لن يحدث أي شيء من هذا . . سيسرّه أن يلبّي طلبكم . . أقسم لكم أنه سيفعل، ولو كان المبلغ أكثر من هذا . .

ظهر الجشع في عينيهما وقال كارل:

ـ إذن لا تنسَ أن المبلغ هو ثمانية ملايين . . أهو مبلغ كبير علي . . ؟؟

قاطعه جعفر قائلاً:

ـ لا . . لا . . سيدفع أبي ما تطلبونه . . اطمئنوا . . فقط أرجوكم لا أريد أن أموت . .

أجابه روجر ببرود:

ـ هذا يتوقف على استجابة والدك . .

وكتب جعفر الرسالة التي أملاها عليه، وأعطاها له، فقرأها بعناية وقال:

ـ ستبقىٰ هنا في هذا اليخت، وستنعم بوقتك كما يحلو لك، ولا تفكّر في إثارة المتاعب، وإلّا نفّذ رجالي أمري لهم، وألقوا بك مقيّداً إلى أسماك القرش التي لا تفارق اليخت ليلاً أو نهاراً . . .

قال جعفر:

ـ اطمئن . . لن أثير أي مشاكل . .

وعندما دخلت مارجي نظرت إليه ساخرة وقالت:

ـ يا لقطّي الأسود المسكين . . لا تبتئس . . عندما تصلنا رسالة والدك ستجدني إلى جوارك لا أفارقك لحظة، أما الآن فإلى اللقاء يا قطّي الأسود الجميل . .

وغادروه إلى زورق انطلق بهم، ونظر جعفر حوله، فشاهد وجوهاً تنطق بالشرّ تنظر إليه، فاكتفىٰ بتحيّتهم وعاد إلى مكانه كاسف البال . .

كانت الأحداث على البرّ تسير سيراً منسّقاً، فقد انتقل المغامرون إلى الفندق عدا جعفر، ولما سألهم عنه السيد كارل، وكان أوّل من التقىٰ بهم عندما جلسوا في حديقة الفندق، قال سامح بقلق:

ـ لا ندري أين ذهب. . . ترك لنا رسالة يقول فيهـا إنه سيتغيّب بعض الوقت في رحلة، وصفها بأنها رحلة حالمة. .

غمز له كارل بعينه باسماً وقال:

ـ إنه أمر كثير الحدوث، فسحر المكان وجمال النساء هنا يقهر كل مقاومة. . لا شك أنّه الآن يعيش لحظات جميلة. .

بعدما انصرف كارل، نقل إليهم الخفي أوامره الجديدة قائلاً:

ـ مازن. . استعد. . . . ستقوم برحلة منفردة تعود منها في الغد. . اذهب فوراً إلى المطار، وستجد من يسلّمك رسالة مني توضح لك المهمة. . إحذر أن يتنبّه لك أحد، وليكن انصرافك وكأنّـك خارج لقضاء حاجة ما. . لا تحمل معك شيئاً.

وجموا برهة ولكن بدون كلمة، ثم أسرع مازن ونهض قائلاً:

ـ سكتوا جميعاً كمن أصابهم المس. وبعد لحـظة أسرع مـازن بالنهوض واتجه إلى الباب قائلاً: إلى اللقاء.

بقوا جميعاً في مكانهم يفكّرون في هذه المهمة المفاجئة، إلى أن أخرجهم صوت الخفي من حيرتهم عندما قال:

ـ تظاهروا بالقلق على غياب جعفر ثم مازن. . حذار من المبالغة فإنكم تحت مراقبتهم في كل لحظة. . لا تتحدّثوا عن المهمّـة إلاّ وأنتم في الخارج. .

قالت نهلة بقلق:

ـ صدقوني أنا خائفة على جعفر. . كيف نتـركه بين أيـدي قتلة مثلهم. . ؟؟

أجابها سامح بحيرة:

ـ إنها المرة الأولىٰ منذ عملنا مع الخفي التي أتخبّط فيها ولا أعرف مصيرنا. . ها هو جعفر أسير في أيدي عصابـة دمويـة لا تعرف إلاّ القتل. . . ثم مازن. . إلى أين ذهب بدوره؟.

قالت وسيلة بثقة واطمئنان:

ـ أنا على العكس منكم مطمئنة تماماً، فما كان للخفي أن يضحي بنا أو يقبل أن يصيبنا أي سوء. .

قال سامح وقد عاوده بعض الأمل:

ـ إن مـا يحزُّ في نفسي هـو أننا تـركناه يـذهب دون أن يحمـل سلاحه. .

أجابته نهلة:

ـ وهـل تتصوّر أنهم سيقبضـون عليه كـرهينـة ويبقـونـه دون أن يفتشوه. . ؟؟

قالت وسيلة:

ـ دعونا ننزل إليهم، وكل ما يجب علينا الآن هو إظهار قلقنا ورغبتنا في مقابلة جعفر. . لا تلحُّـوا كما قـال الخفي، وأعتقد أن الأمـور ستنجلي خلال يوم أو يومين. .

وفي المساء اجتمعوا بمارجي وكارل وروجر، وبعد قليل انضمّت إليهم ماري، وكان سامح كئيباً بادي القلق عندما سألته مارجي:

ـ ما لأميري ساهماً مشغول البال؟.

أجابها:

ـ إني قلق على هذا المجنون الذي اختفى على تلك الصورة.. أقسم لو سمع أبوه لأقام الدُّنيا وأقعدها..

أجابته مهدئة من روعه:

ـ يبدو أنكم نسيتم أنه شاب ومحروم في بلاده من المتعة المتوفرة هنا.. طالما أنّه هنا فسوف يدخل علينا فجأة ويقصّ لنا أخبار مغامرته التي حجبته عنّا..

قالت وسيلة بأسف:

ـ ليت الأمر اقتصر عليه وحده، ولكن صديقنا مازن بدوره غادرنا واختفى، ولا نعرف إلى أين ذهب..

ظهر الاهتمام على وجه كارل وقال:

ـ كيف حدث هذا..؟؟

قلب سامح راحتيه بحيرة وقال:

ـ هذا ما حدث.. أخشى أن يصيبه مكروه، خاصة وأنه يحمل مبلغاً كبيراً من المال معه..

قالت مارجي على الفور:

ـ فلنبحث عنه ونفتّش الجزيرة كلّها.. لا شك أنّه بدوره ينعم بلحظات هانئة، وإن كان يجب التأكّد من ذلك..

أمضوا مساء لا بهجة فيه حتى قارب الليل على الانتصاف.. اقترب أحد الخدم منهم وانحنى أمام كارل وقال:

ـ سيِّدي مطلوب للتليفون..

نهض كارل وتغيّب دقائق، عاد بعدها متهلِّل الوجه وقال:

ـ أتدرون من المتكلّم..؟؟ إنه صديقكم الأمير الأسمر..

هتفت نهلة متظاهرة بالفرح:

ـ جعفر..؟؟

أجابها باسماً:

ـ ألم أقل لكم.. إنه في مكانٍ ما، ويقول إنه يمضي وقتاً طيباً ويرجوكم أن تعتذروا بأي عذرٍ لوالده إذا اتصل أثناء غيابه..

قال سامح بغضب:

ـ هذا المجنون الأهوج.. إنه يعلم أن والده لن يرضى بأقل من سماع صوته.. كيف بالله أتصرّف..؟؟

قالت وسيلة:

ـ طالما أنّه بخير أترك لي هذه المهمة.. إذا تصادف واتصل

سأدّعي بأنكم خرجتم في رحلة صيد . .

تهلّل وجه كارل وقال :

ـ رائعة . . هذا هو الحل المنطقي . .

تنهد سامح وقال :

ـ بقي الثاني . .

ضحكت مارجي وقالت :

ـ تأكّد أنّه بدوره في مكانٍ مشابه ولا يلبث أن يتّصل وشيكاً .

وانقضت الليلة الأولىٰ بسلام ، ولم يجدّ جديد وإن تظاهروا بازدياد القلق على مازن ، حتى كان اليوم الثالث ، وبينما هم جلوس حول مائدة الإفطار استدعي سامح لمكالمة تليفونية عاد منها سعيداً بادي الفرح . .

قال وهو يعاود الجلوس :

ـ إنه مازن . .

التفتوا إليه بحدّة وهتفتِ وسيلة :

ـ من أين يتحدّث . . ؟؟ أين هو . . ؟؟ ألم يخبرك . . ؟؟

أجابها باسماً :

ـ صبراً يا عزيزتي . . كيف أجيبك على هذا السيل المنهمر من الأسئلة . . ؟؟ يقول إنه آسف وإنه يمضي أجمل أيّام عمره ، ولما سألته

متى يعود قال بمرحه المعروف إنه سيعود إذا ما شعر بالملل والحنين لرؤيتنا . .

أجابته وسيلة متظاهرة بالغضب :

ـ وهذا ما أسعدك وأعاد البسمة إلى وجهك . . ؟؟ أقسم أن أخبر سميرة خطيبته عندما نعود . .

ضحكت مارجي وقالت :

ـ إنها فورة الشباب يا آنسة . . هل تظنين أن كل الشباب مثل خطيبك . . ؟؟

نظرت إلى سامح نظرة مليئة بالحب وقالت :

ـ سامح . . حاشا أن يكون مثلهما . .

وأمضوا يوماً جديداً وفي داخلهم أتون ملتهب من القلق على جعفر ، ومما زاد الطين بلّة انقطاع مكالمات الخفي فجأة . .

قالت وسيلة بقلقٍ بالغ :

ـ كيف يتركنا الخفي في مثل هذا الوقت دون أن يتّصل بنا . . ؟؟

جاء صوت الخفي بغتة ، فقفزت قلوبهم فرحاً في صدورهم . . قال بهدوء :

ـ كل شيء يسير على ما يرام . . في الغد سيصل والد جعفر على متن طائرة خاصة حاملاً معه ثمانية ملايين دولاراً عدّاً ونقداً ، وهي

قيمة الفدية التي طلبوها للإفراج عن الأمير الأسود. .

كان صوته يدل على أنّه في قمّة السعادة، فسألته وسيلة:

ـ ثمانية ملايين. . ؟؟ يا إلٰهي ما أرخص الملايين في هذه الجزيرة. .

ضحك الخفي وقال:

ـ ليس المهم هو الحصول على المال، المهم الحفاظ عليه، فكثيراً ما تضيع الملايين إثر الملايين في هذه الجزيرة. .

سأله سامح بلهفة:

ـ ومازن. . أين هو. . ؟؟

ضحك الخفي وقال بمرح:

ـ أتخافون عليه بدوره. . ؟؟ لا بأس سأجيبك على هذا السؤال ولا أسئلة أخرى. . إنه بخير وستلتقون به بعد ساعات ومعه أعزاء لكم طال شوقكم إليهم. .

وقبل أن يسألوه من جديد كان قد أنهىٰ الحديث. . تنهدت وسيلة بارتياح وقالت:

ـ الحمد لله. . الآن فقط اطمأنّ خاطري. .

* * *

أحداث مثيرة

توالت الأحداث بسرعة مذهلة، فقد فوجىء جعفر بصوت يعرفه حقّ المعرفة ينادي عليه. . أسرع إلى إحدى النوافذ وأطل منها على البحر، وكاد لشدة ما انتابه من الذهول أن يفضح وجود مازن وفيصل وبومدين الذين همسوا له محذّرين:

ـ اصعد إلى المؤخرة وبسرعة يا جعفر.

تسلل خارجاً من قمرته، وهو يحمل أدوات صيد السمك التي كثيراً ما شاهده رجال اليخت يحملها ويخرج إلى السطح أثناء الليل ويمضي ساعات طويلة في الصيد. . . وكما توقّع كان أحدهم يجلس إلى مقعد قماشي طويل، يتسلّى بالقراءة وشرب الجعة. . نظر إليه بقلّة اكتراث وعاد إلى القراءة. .

كان جعفر ممسكاً براديو صغير لا يفارقه، وتعمّد أن يديره ويرفع من صوته. . قال للرجل:

- طالما أنك ساهر لماذا لا تنضم إليّ فنتسلّىٰ بالحديث والصيد . .

أجابه ببرود:

- من قال لك إنني أحب صيد السمك . . أنا لا أحب السمك إلاّ وهو أمامي جاهزاً للأكل . .

وأطلق ضحكة عالية عرف منها جعفر أنه مخمور، فقال:

- إذن أرجو أن أوفق في اصطياد ما يشبعك . .

وعندما وصل إلى مؤخرة اليخت، تلفّت حوله بحذر، ثم أطل على البحر، فشاهد الزورق المطّاطي يقف إلى جوار اليخت . .

هتف به مازن:

- التقط هذا الحبل . .

وببراعة طوح له بالحبل، فأمسك بـه وثبّته إلى حـاجز اليخت، وبسرعة تسلّقوا الحبل ووصلوا إلى سطح اليخت.

قال مازن:

- سيبقىٰ فيصل وبومدين معك هنا . . قررنا الاستيلاء على اليخت بما فيه، ولكن بعد أن تتم الخطوة الأخيرة . .

قال جعفر بقلق:

- ولكنهم سيكتشفون أمرهما . .

أجابه فيصل:

- سنرقد في زورق النجاة حتى تحين اللحظة الحاسمة . .

سأله فيصل بعد برهة:

- كم عددهم . . ؟؟

أجابه جعفر:

- سبعـة، عـدا القبـطان والمهنـدس وآخـر لا يبـارح الشـاطىء بزورقه . .

لوّح فيصل بمسدسه الليزري وقال:

- ليتكم تتركوني أصفّي الحساب الآن . .

أجابه مازن:

- أتعتقد أن التخلّص منهم كان أمراً مستعصياً على الخفي . . إنه يسعىٰ إلى الرأس لا الأذناب . .

سأله جعفر بدهشة:

- مازن . . متى وصل رفاقنا إلى الجزيرة . . ؟؟ لم تخبروني أنهم سيحضرون! . . هل حضروا كلهم . . ؟

ضحك مازن وقال:

- كلنا هنا . . . وزورقنا أيضاً غير بعيد في انتظار انتهاء المهمّة . .

حملق فيه مشدوهاً وقال:

- زورقنا الذرّي . . ؟؟ وكيف وصل إلى هنا . . ؟؟

أجابه ملوحاً بيده:

- لا وقت الآن للشرح.. إلى اللقاء..

وبخفّة القرود هبط بواسطة الحبل إلى الزورق، وألقوا إليه بطرفه.. وانتظروا برهة ثم تسلل فيصل وبومدين إلى أحد زوارق النجاة المغطّى، وعاد جعفر دهشاً ليواصل الصيد..

* * *

كانت وسيلة على وشك مغادرة غرفتها عندما سمعت صوت الخفي يقول:

- وسيلة.. الآن نفّذوا ما اتفقنا عليه..

وكان أقصر اتصال، أسرعت على أثره إلى بهو الفندق حيث جلس سامح ونهلة وهمست لهما بالأمر.. نظر سامح إلى ساعته وقال:

- لا زال أمامنا ساعتان. فلنجلس معهم بعض الوقت، فمعنى ما طلبه الخفي أن الفدية وصلت أو على وشك الوصول..

ووجدوهم كالمعتاد في مكانهم المفضل في حديقة الفندق، فجلسوا صامتين لبعض الوقت حتى قالت مارجي:

- كنت على وشك الاتصال بكم لأبلغكم أن صديقكم سيعود غداً..

سألتها وسيلة بلهفة:

- هل اتصل مرّة أخرى..؟؟

أجابتها ببساطة:

- نعم، وحاولت إقناعه أن يتحدّث إلى واحد منكم، ولكنه خشي أن يفعل حتى لا تحرموه ليلته الأخيرة التي وصفها وصفاً جميلاً..

تضاحكت وسيلة وقالت:

- وهل سيفلت من العقاب.. حتى لو عاد بعد سنة فلن نغفر له ما فعل..

وأثناء جلوسهم شاهدوا رجلاً يرتدي الملابس العربية، ويحمل في يده حقيبة متوسطة الحجم رفض التخلّي عنها لخادم الفندق، يتجه مهرولاً إلى الداخل، فتبادلت مارجي وكارل نظرة سريعة وقفت على إثرها واعتذرت لارتباطها بموعد، ولحق بها كارل بعد دقائق معتذراً بدوره، فلما أصبحوا وحدهم شاهدوا ماري قادمة.. جلست بهدوء وقالت:

- حانت اللحظة الحاسمة.. لقد وصل رجلنا حاملاً ثمانية ملايين في حقيبته..

سألتها وسيلة باستغراب:

- وهل ستسلمونهم المبلغ..؟؟

ابتسمت ماري وقالت بثقة:

- ولِمَ لا نفعل.. اطمئني يا صديقتي فزعيمكم داهية لا يغفل عن شيء.. هيا ونفّذي ما أمَر به..

قالت ذلك وهبّت من مكانها منصرفة، فقال سامح:

ـ إنها تعرف الخطّة كلّها.. هيا بنا..

صعدوا إلى غرفة سامح وجلسوا، وبدأ سامح الحديث قائلاً:

ـ هل صدقتم ما قالت..؟؟ أخشىٰ أن يكون في الأمر خدعة.. الأفضل أن نبلّغ الشرطة..

كان في الغرفة المجاورة يجلس شاب قبيح الصورة، وأمامه جهاز تسجيل يسجِّل به كل كلمة تدور في الغرفة المجاورة، فلما سمع كلمات سامح أسرع وضغط على زرٍ صغير فتح على إثره الباب ودخل منه روجر، فأشار له على الميكروفون وهمس:

ـ ليتك تسمع ما يقولون..

جلس روجر وسمع سامح يقول:

ـ ألم تسمعوا بسلسلة الجرائم التي وقعت بالجزيرة.. أخشىٰ أن يكونِ جعفر في مكانٍ ما مقبوضاً عليه..

أجابته وسيلة:

ـ أتعني أنهم اختطفوه ليطلبوا فدية..

امتقع وجه روجر وقست نظراته... وواصل سامح حديثه قائلاً:

ـ وأعتقد أن مازن لاقى المصير نفسه.. لا.. لن أنتظر لحظة واحدة.. سأبلغ الشرطة فوراً..

قالت نهلة بهدوء:

ـ فلننتظر اليوم، فإذا لم يظهر سيكون أوّل ما نفعله هو الاتصال بالقائم بالأعمال ونبلغه الأمر..

ولزموا الصمت. فقال روجر بصوت يرتعد خوفاً:

ـ افتح أذنيك جيداً يجب علينا أن نتصرّف بسرعة...

وغادر الغرفة مسرعاً إلى غرفة مارجي التي كانت جالسة مع كارل.. اقتحم عليهما المكان بادي الرعب وقال:

ـ يجب أن نتخلّص من هذا القرد فوراً..

نظرا إليه مشدوهين وسأله كارل ببرود:

ـ ماذا دهاك..؟؟

أخبرهم بما سمع، واختتم كلامه قائلاً:

ـ ولولا زميلتهما التي أرجأت الأمر ما انتظرا حتى الغد..

قال كارل:

ـ لقد وصل والده ومعه الملايين الثمانية، وما علينا إلّا الحصول عليها والتخلّص منه ونرحل..

قالت مارجي:

ـ وهل سيقبل تسليمنا المال..؟؟

أجابها بعد تفكيرٍ قصير:

ـ سنذهب فوراً إلى اليخت، لنحضر منه خطاباً لوالده يطلب منه فيه تسليمنا المبلغ.. هيا..

وغادروا الفندق واستقلّوا سيارة مارجي السبور، وانطلقوا بها إلى الجانب البعيد من الجزيرة، وهناك غادروها وهبطوا إلى الشاطىء حيث وقف في انتظارهم بحّار قوي البُنْيَة.. قال روجر:

ـ أسرع.. يجب أن نلحق باليخت خلال ساعة واحدة..

وانطلق بهم الزورق السريع يشقّ الماء بسرعة كبيرة، وبعد ساعة لاح اليخت في الأفق يسير متهادياً.. وعندما اقتربوا من اليخت قال كارل مخاطباً مارجي:

ـ عليك التظاهر بأنك قدمت لمساعدته على الهرب، وضعي على ظهره العلامة..

بهتت مارجي وقالت:

ـ أضع على ظهره العلامة..؟؟ كيف..؟؟ إن المادة لا تظهر أثناء النهار..

أجابها:

ـ أعلم هذا.. فلتكن العلامة هذه المرة باللون الأحمر..

سأله روجر:

ـ وهل سيتم القضاء عليه بالطريقة المعتادة..؟؟ هل نسيت أي خطورة نتعرّض لها ونحن في وضح النهار..

أجابه بصوت قاطع:

ـ ليس هناك أي خطر..

تساءلت مارجي:

ـ وكيف يتم قصّ القميص..؟؟

أجابها بخشونة:

ـ لا تفكّروا في هذا.. سيتم كل شيء كالمعتاد.. ما عليك إلاّ رسم العلامة بعد انصرافنا... سنحصل أوّلاً على الخطاب ونختفي، فتظهرين له على أنك حضرت لمساعدته على الهرب، وتصحبينه في الزورق إلى أقرب نقطة من الفندق.. دعيه يدخل من الباب الخلفي ويخرج للقائك من الباب الرئيسي، بحجة خوفك من الظهور معه، حتى لا نعرف أنك ساعدته على الهرب..

ووصل الزورق إلى جانب اليخت، واختفت مارجي حتى لا يراها جعفر إن كان على السطح، وصعد روجر وكارل إلى اليخت.. وبعد لحظات صعدت مارجي واختفت في إحدى القمرات حتى ينتهيا من مهمتهما..

وفوجىء جعفر بدخولهما عليه.. نظر إليهما متظاهراً بالخوف وقال:

ـ لا.. لا تقتلوني... لن يتأخّر وصول أبي.. أقسم لكم أنه سيحضر..

- اطمئن فقد وصل فعلاً . . . ما عليك إلاّ أن تكتب له رسالة ليسلّمنا المبلغ، وقبل حلول المساء ستكون حرّاً طليقاً.

كتب له الرسالة بفرح، وقال وهو يسلّمها له:

- أشكركم . . تأكّدوا إنني لن أنطق بكلمة واحدة . . فقط دعوني أرى مارجي . .

ابتسم كارل ابتسامة ساخرة وقال:

- إنها في الفندق وستكون أوّل من يهنئك بسلامة العودة . .

وانصرفا من عنده مسرعين، وغادرا اليخت إلى الزورق الذي انطلق بهما، وراقب جعفر الزورق حتى اختفى عن بصره . . عاد أدراجه إلى غرفته، وبعد لحظات فوجىء بمارجي تقتحم عليه المكان، فهبّ لاستقبالها مرحباً . . فطوقته بساعديها وقالت:

- لقد غامرت بحياتي وتسللت إلى الزورق الذي جاءا فيه . . لقد بيّتا النية على قتلك بعد أن يتسلّما المال . . لذلك يجب أن نهرب من هنا في زورق من زوارق اليخت . .

كان جعفر يرتدي قميصاً أبيض اللون، فقالت مازحة:

- يا لها من موسيقى حالمة . . دعنا نرقص هذه الرقصة، فلدينا متّسع من الوقت حتى يصلا إلى الشاطىء، ونأمن عدم اكتشافهما أمرنا إذا ما نظرا باتجاه اليخت، وشاهدا أحد الزوارق يتجه نحو الشاطىء . . واحتضنته وأخذت تدور به ورأسها على صدره . . .

شعر بأصابعها تضغط ظهره بين حين وآخر واحتار في تفسير ذلك،

ولكنه لم يشعرها بأنّه تنبّه للأمر . .

وبعد عدة دورات نظرت من النافذة وقالت:

- لقد وصلا إلى الشاطىء . . . هيا بنا من هنا . .

وسحبته وخرجت به مسرعة، وأمرت أحد البحّارة بإنزال أحد الزوارق المطاطيّة إلى الماء، وهطبت إليه، وتلاها جعفر بعد أن نظر ناحية الزورق الكبير الذي اختفى بداخله فيصل وبومدين . .

وانطلقا بالزورق وأطلقت له العنان حتى وصل إلى نقطة هادئة بالقرب من الفندق، فغادراه . . قالت هي متظاهرة بالخوف:

- الآن يجب أن نفترق على أن نعود ونلتقي أمام باب الفندق، فلو تنبهوا إلى أنني أطلقت سراحك قتلوني على الفور . . . ستدخل من الباب الخلفي وتلحق بي عند باب الفندق الرئيسي . .

وافترقا، فأسرع جعفر إلى الباب الخلفي ودخل منه، وما كاد يفعل حتى أطبقت عليه عدّة أيدٍ وسمع صوتاً يقول:

- تهاني القلبية يا سيد جعفر . . . الآن أكمل المهمة ودعهم يقتلونك . .

فغر جعفر فاه وكاد ينقضّ على أقربهم إليه، ولكن صوت الخفي أنهى الموقف إذْ قال:

- اذهب يا جعفر . . ستسدل الستارة بعد لحظات . . عندما تسمع صوت الرصاص، الق بنفسك على الأرض ولا تتحرّك . .

خرج جعفر من باب الفندق الرئيسي واندفع في الممر الموصل